

بسم الله الرحمن الرحيم

دراسة في شعر ابن الجنان الانصاري الأندلسي

الدكتور منجد مصطفى بهجت

كلية الآداب - جامعة الموصل

مقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد ،
فهذه دراسة ، هي أول دراسة مستفيضة - فيما نظن - عن شاعر كبير
من شعراء عصر الموحدين ، ابن الجنان الانصاري ، وما كان لها ان تكمل
وتظهر بهذه الصورة ، إلا بعد أن وفقني الله لجمع وتحقيق أشعار الشاعر من
المصادر المطبوعة والمخطوطة في ديوان يمثل للطبع . وكان أول عهدي بالشاعر
عام ١٩٨٢ حيث كتبت بحثاً عن المديح النبوي في عصر الموحدين ...
وكان على البحث أن يعرف بالشاعر وسيرته وبحقق تاريخ وفاته ، ثم
يقف عند ديوانه ومصادر شعره على نحو من الإيجاز ، ثم بشيء من التفصيل
دار الحديث حول موضوعاته الشعرية التي جاءت في أربعة ، شعر
الإلهيات ، والنبويات ، وشعر الأخويات والمراجعات ، وشعر الرثاء ،
وانتقلت بعدها الى دراسة السمات والخصائص الفنية لشعره بشيء من
التفصيل ، وقد حاولت في الدراسة أن أوجز كثيراً من التفصيلات للكتاب
الذي نأمل أن يرى النور عن الشاعر بإذن الله . . والله نسأل أن يقبل عملنا
ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ،

١ - حياته وسيرته :

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، المعروف بابن الجنان^(١) ، وقد تلقب بهذا اللقب عدد من أعلام الأندلس^(٢) . عاش في القرن السابع الهجري ، عصر الموحدين ، حيث شهد في حياته بالاندلس ، مجد الدولة الموحدية كما شهد انحسارها وضعفها .

لأنعلم شيئاً عن ولادته وحياته الأولى ، ولكن نستطيع ان نقدر بأنه نشأ نشأة أبناء عصره ، وقرأ منذ عهد مبكر ما يقرأونه ، وقدر له الاسترسال في هذا الاتجاه حتى بلغ ما بلغه على نحو ما سيأتينا .

ونلمس تعلقه الشديد بأبيه ، وبرّه اياه ، حين يصور ذلك في اطول قصيدة له في الديوان ومحدثنا عن وفاته ، التي كانت أيام سقوط مرسية سنة ٦٤٠هـ ، حيث اشتدت شوكة الأسبان ، وتسلطوا على الأندلسيين وأضطروا هو الى الرحيل عنها الى أوريولة ، وترك أباه الذي تعلق بوطنه حتى أشتد مرضه بعد عام من رحيله ولم يمهله القدر بعدها^(٣) :

أبي مصاب أبي مني السلو ، فيا قلبي وجفني ، قفا نبك الحبيب قفا
هجرت داري وأحبابي ومن شيمي وصل المهاجر إما خانني وجفا

ويصور حيرة أبيه بين اجابة داعي حب الوطن ، والاستجابة لنداء القلب في حب الولد فيقول :^(٤)

(١) تصحف لقب الشاعر عند عدد من المتأخرين الى ابن الجيان ، ينظر سعادة الدارين : ٥٤٠ ، ٦٦٣ ، ٦٦٧ .

(٢) منهم : أبو بكر أحمد بن الجنان المرسي (الخريدة) ٢/٢٥٣ ، وأبو بكر محمد بن عبد الغني بن الجنان الشاطبي (زاد المسافر ١١٥ جذوة الاقتباس ١/٢٦٦) ، وأبو عبد الله محمد بن أحمد الجنان الغرناطي ولد قرب سنة ٩٥٦ هـ (درة الحجال ٢/٢٣٦) وآخرون .

(٣) ٢٧ ، ٢٤ ، ٥٢ ، ٥٥

(٤) ق ٥٦/٢٧ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ - ١٥١ ، ١٥٥ - ١٦٥ .

مازلتُ أجذبه والدار تجذبه فأتيتُ سبقاً نحوي ومنصرفاً
فجاء أوريولة يوماً كعادته يُطيعُ قلباً بحبي كان قد شُغفا

ولا يهمله القدر اذ يتوفى بعد تسعة أيام فقط من قدومه :
اقام تسع ليال ما وجدت له فيها شفاء ولا صدر المشوق شفا

ومن ابیات القصيدة ذاتها نعلم أن له أخوين ، يخاطبهما ، ويطلب
منهما أن يسعداه بالبكاء بعد فقدهم أباهم :

يا ابني أبي لاتكونا في مُصابكما كمثل من نكر الأخوان أو نكفا
يا ابني أبي أسعدا بالله صنوكما بعبرة تفضحُ الهطالة الوركما

ولا ينسى أياديهِ البيض عليهم ، وشدة عكوفه عليه ، وعلى أخوته :
غذى وربُّ وأولى كُلُّ عارفةٍ وبالحنان لنا في ظلُّه كنفا
مشهد الجفن لا ترمش مدامعه كأنما طُرفه من دوننا طُرفا

ويشير الى تعليمه دروس القرآن الكريم ، ودروس الحياة الأولى في
قوله :

أيامَ علّمني التنزيلَ بمنحني منه الهدى وعلى أخذى له اللّطف
قد كانَ علّةً كوني ثم رشّحني الى الحياة التي أرجو بها الزّلفا

ومضت بمحمد الأيام ، فأصبح من علماء عصره المشهورين ، من
أهل الرواية والدراية ، محدثاً ، كاتباً ، بليغاً ، شاعراً ، بارعاً ، وصف
بجودة الخط ، وحسن الضبط ، والحفظ والاتفاق^(٥) .

(٥) عنوان الدراية ٣٤٩ ، الاحاطة ٣٤٨/٢ ، النفع ٤١٦/٧

تحدثت المصادر عن خلقه وفضله ، وذكائه ، إذ كان لطيف الشئائل وقوراً ، اما عن صفاته الخَلْقِيَّة ، فقد ورد أنه كان مفرطاً في القِماء ، حتى يظن رائيه اذا استدبره انه طفل ابن ثمانية أعوام أو نحوها^(٦) ، ولله درّه اذ استبدله الله محاسن الخُلُق بقاءة خَلقه . . فقد كان ذكره عطرأ في حياته وبعد مماته . . وله في عطاء بن أبي رباح^(٧) (ت ١١٥ هـ) إمام أهل مكة وعالمها أُسوة حسنة .

أوسع من تحدث عن شاعرنا ، ابن عبد الملك المراكشي المتوفى سنة ٧٠٣ هـ في كتابه الذيل والتكملة ، الا أن الجزء الذي ترجم له فيه لا يزال مفقوداً^(٨) ، وقد نقل عنه عدد من العلماء ، روى ابن الخطيب أنه : خرج من بلده ، حين تمكن العدو من بيضته عام أربعين وستائة ، واستقر بأوريولة^(٩) الى أن استدعاه الى سبته الرئيس أبو علي بن خلاص^(١٠) . فوفد عليه وحظي عنده حظوة تامة ثم توجه الى افريقية (تونس) فاستقر ببجاية .

روى عن علماء عصره أمثال : ابي الربيع بن سالم ، وأبي الحسن بن سهل بن مالك ، وأبي علي الشلوين . ومن روى عنه قليل ، منهم : صهره ابو القاسم بن نبيل ، ابو الحسن محمد بن زريق^(١١) .

(٦) الاحاطة ٣٤٩/٢ .

(٧) روى ابن خلكان في وفياته ٢٦٢/٣ أنه «كان أسود ، أعور ، أفطس ، أشلّ ، أعرج ثم عمي ، مفلفل الشعر» .

(٨) النفح ٤١٥/٧ .

(٩) اوريولة : مدينة في بلاد شرق الأندلس ، تقع على نهر شقورة شمال شرقي مرسية ، وقد لعبت في تاريخ شرق الأندلس دوراً مهماً ، فسقطت في أيدي الارجونيين سنة ٦٦١ هـ ، الاحاطة ٣٤٩/٢ هامش ٣ .

(١٠) تولى ابن خلاص سبته سنة ٦٣٧ هـ ، وتوفى سنة ٦٤٦ هـ ، تنظر ترجمته في البيان المغرب ٣٥٩/٣ (ط تطوان) ، النفح ٣٦٥/٧ هامش (٢) .

(١١) الاحاطة ٣٤٩/٢ .

لقد أحرز ابن الجنان مكانة وشهرة في عصره ، كان من ذوي المواهب المزدوجة شاعراً وناثراً وجرت بينه وبين علماء وأدباء عصره مخاطبات ومكاتبات ، ظهرت فيها براعته ، وقد تناقلت اخبارها ونصوصها المصادر ، ومنهم : ابو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني^(١٢) ، وابو المطرف بن عميرة المخزومي^(١٣) ، وابن المرباط^(١٤) ، وغيرهم .

ويحفل كتابا ابن عبد الملك المراكشي ، وابن المرباط^(١٥) ، بمعلومات ضافية في هذا المجال ، تدلنا على مدى تفاعله مع أحداث عصره ، وصلته المتينة بأبنائه ، فعلى الرغم من ميله الشديد للزهد في الحياة ، وعدم انحيازه لأمراء عصره ، فانه لم يكن ذاهلاً عن مجتمعه ، ناثياً عنه بل كانت له مشاركات^(١٦) ، فقد انتعش موضوع المراجعات والمراسلات الأدبية ، شعراً ونثراً ، كذلك ازدهرت المجالس الأدبية ، على نحو ما سيأتينا في أشعاره ، التي عارض بها رائية علي بن الجهم^(١٧) ، وشينية المتنبي^(١٨) والابيات التي بارى فيها جلساءه في وصف الطاووس^(١٩) .

(١٢) تنظر ترجمته في الذيل والتكملة ٣٢٣/١/٥ - ٣٦٦ ، مقدمة الاستاذ ابراهيم شيوخ لبرنامج شيوخ الرعيني ..

(١٣) ينظر في ترجمته كتاب الدكتور محمد بن شريفة ، ابو المطرف بن عميرة المخزومي ، حياته وآثاره (ط جامعة محمد الخامس ١٩٦٦م) .

(١٤) عرف بهذا اللقب عالمان ، أحدهما : ابو العلاء محمد بن علي بن ظافر ، تنظر ترجمته في هامش ق٢ ، وهو مؤلف كتاب زواهر الفكر ، وجواهر الفقر ، مخطوط في الاختبارات الشعرية ، والآخر : ابن عم ابي العلاء المذكور آنفاً ، ومعلوماتنا عنه من خلال كتاب زواهر الفكر ، قاض وعالم جليل له شعر ونثر كثير في الكتاب وله صلة متينة ومراسلات مع شاعرنا ابن الجنان .

(١٥) الذيل والتكملة ١٠٨/٤ - ٣٢٧/١/٥ ، ٣٣٤ ، زواهر الفكر في مواضع كثيرة متفرقة منها : ورقة ١٤٩ ، ١٥٥ ، ١٧١ .

(١٦) زواهر الفكر ورقة ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٦٢

(١٧) ديوانه ق١٦

(١٨) ديوانه ق١٨

(١٩) ديوانه ق١٤ .

اثني المؤرخون عليه ، فقال الغبريني (ت ٧١٤هـ) عن مراسلاته مع أبي المطرف بن عميرة والحركة الأدبية التي صحبت تلك المراسلات : «وكثيراً ماكانا يتراسلان بما يعجز عنه الكثير من الفصحاء ولايصل اليه الا القليل من البلغاء ، ونثره ونظمه كله حسن ، ونثره غزير وأدبه كثير»^(٢٠).

وصفه ابن الخطيب (٧٧٦هـ) فقال : «ومحاسنه عديدة ، وآماده بعيدة...»^(٢١) ، وقال عنه في موضع آخر : وكتابته شهيرة ، تضرب بذكره فيها الأمثال ، وتطوى عليه الخناصر»^(٢٢).

اما المقري ، فقد أعرب عن اكباره له ، وأشار الى سعة أخباره ، وجودة أدبه فقال : «وترجمة ابن الجنان واسعة جداً ، وكلامه في النبويات نظماً ونثراً جليل رحمه الله»^(٢٣) ، وقال في موضع مثنياً عليه ، وكم لهذا الكاتب من محاسن ، ماؤها غير آسن»^(٢٤) وبلغ الاعجاب بشعره ، أن المقري كان كثيراً ما ينشد خمسته الميمية في مجالس التدريس^(٢٥) ، وساق لنا عدداً من معارضات خمسته في كتابه^(٢٦).

٢ - وفاته :

انفرد ابن الخطيب بذكر وفاته فقال : قال الاستاذ في الصلة : «انتقل الى بجاية ، فتوفي فيها في عشر الخميسين وستمائة»^(٢٧) . وقد وهم محقق عنوان الدراية ، حين نسب الى ابن الخطيب أن خروجه من بلده كان في أربع

(٢٠) عنوان الداراية ٣٤٩.

(٢١) الاحاطة ٣٥٩/٢.

(٢٢) الاحاطة ٣٥٢/٢.

(٢٣) النفخ ٤٣١/٧.

(٢٤) النفخ ٤١٥/٧.

(٢٥) نفسه ٤٣٨/٧.

(٢٦) نفسه ٤٤٥/٧ - ٤٧٠.

(٢٧) الاحاطة ٣٥٩/٢.

وستماته ، معتمداً في ذلك على الحلل السندسية^(٢٨) الذي سقطت فيه لفظة الخمسين المضافة الى لفظة «عشر» ، حيث يقع التحريف في تاريخ الوفاة .
ومما يصحح هذا التحريف أن سقوط مرسية بأيدي الاسبان كان سنة ٦٤١هـ^(٢٩) ، وليس سنة ٦٠٤هـ ، كما تصحف التاريخ عنده ، فقد كان يحكمها ذو الوزارتين أبو على بن خلاص صاحب سبته سنة ٦٣٧هـ ، وقد أعلن بيعته للأمير ابي ذكريا يحيى الحفصي سنة ٦٤٣هـ^(٣٠) ، وتوفي سنة ٦٤٦هـ .

كذلك يصححه اقتران قصائد ورسائل لابن الجنان في كتاب «زواهر الفكر» بتواريخ تدلنا على انه كان حياً حتى سنة ٦٤٣هـ ، فقد جاءت خطبة له مؤرخة في ٢٧ رمضان سنة ٦٤٢هـ^(٣١) ، وذكر ابن المرباط أنه أنشأ خطبته النكاحية بمرسية في غرة جمادى الأولى سنة ٦٤٣هـ^(٣٢) ، ونُرجح أن ابن الجنان توفي قبل أن ينتهي ابن المرباط من تأليف كتابه سنة ٦٤٨هـ ، وذلك لأنه استخدم عبارات الترحم على الشاعر مقرونة به ، ومن هنا يمكن أن نقرر أن وفاته كانت بين سنتي ٦٤٦ و٦٤٨هـ . اذا قدرنا انه ترك سبته الى بجاية بعد وفاة ابي على بن خلاص سنة ٦٤٦هـ وكان قد حظي ابن الجنان عنده ، وهو ما ينسجم مع رواية ابن الخطيب عن وفاته .

٣ - ديوانه ومصادر شعره :

لم يكن أبو عبد الله بن الجنان بدعاً في الشعراء الذين لم تدون أشعارهم في حياتهم او بعد مماتهم . واذا كان فقدان دواوين الشعراء

(٢٨) عنوان الدارية ٣٤٩ هامش ١ ، الحلل السندسية ٥١١/٣

(٢٩) الآثار الأندلسية الباقية ٩٩

(٣٠) عصر المرابطين ٤٧١/٢ ، ٥١٢ .

(٣١) زواهر الفكر ورقة ١٣٤

(٣٢) نفسه ١٥٦ ،

المغمورين أمراً مألوفاً ، فانه ليس ببعيد عن عدد من كبار الشعراء ، ومن هؤلاء ابن شهيد الأندلسي^(٣٣) ، إذ لم ترد الإشارة الى جمع شعره في ديوان ، في كتب القدماء ، على الرغم من غزارة نتاجه ، وشهادة النقاد له بالباع الطويل ، والحدق والبراعة .

لقد أوشكت أشعار ابن الجنان أن تذهب بذهاب مصادرها ، لا سيما المخطوطة منها وذلك لأن ما وصل إلينا من أشعاره جاء برواية واحدة ، في مصدر واحد ، وقد تعرض غير قليل منها للتحريف والتصحيف بسبب جهل النساخ ، ومن نقل عنهم .

لا يمثل ما استطعنا الوقوف عليه من أشعار الشاعر جميع أشعاره ، فقد جاءت نصوصه الشعرية في الديوان الذي صنعه في أربع وخمسين نصاً ، اجتمع فيها زهاء ألف وثلاثمائة بيت ، إذ لدينا اشارات الى اشعار للشاعر مفقودة ، فالجزء الذي ترجم فيه ابن عبد الملك المراكشي للشاعر ، لما يزل مفقوداً . . وقد نقل عنه ابن الخطيب في الاحاطة ، كما نقل المقرئ عنه في نفح الطيب ، ويشير ابن المرباط في القسم الثالث من كتابه ، زواهر الفكر ، الى أن الشاعر قدم ابياتاً للقسم الثاني منه ، ولم نقف عليها ، لأن هذا القسم ما يزال مفقوداً .

على الرغم من عدم وصول ديوان مدون للشاعر ، او مجموع شعرى له ، فإن أشعاره لم تضطرب نسبتها اليه فتتصرف الى غيره . . باستثناء قصيدة لامية في عشرة أبيات مطلعها :

لولا النبسي محمد هلك الورى من سوء حاله

(٣٣) ابن شهيد الأندلسي ، حياته وأدبه ٥٦ - ٥٧ .

حيث وهم يوسف النبهاني^(٣٤) المتوفى سنة ١٣٥٠هـ ، فنسبها الى الشاعر معتمداً على نفح الطيب ولدى مراجعتنا القصيدة في النفح وجدناها فيه بغير عزو .

تتوزع اشعار الشاعر ، كما هو واضح ، على ستة مصادر في مقدمتها مخطوط «زواهر الفكر وجواهر الفقر» ، وهو نسخة فريدة في مكتبة الاوسكريال ، لابي العلاء محمد بن علي بن ظافر المرادي المشتهر بابن المرباط^(٣٥) (ت ٦٦٣هـ) ، وهو أكبر مجموع شعري للشاعر ، ويعد الكتاب ، من أوثق المصادر في رواية اشعاره ، لأن المؤلف كان ينقل عن الشاعر مباشرة ، ومشافهة ، كما انه يؤرخ القصائد ، ويذكر مناسبتها ، والنسخة المخطوطة حزائية نفيسة ، منقولة عن نسخة المؤلف التي كتبها بخط يده ، انتهى من نسخها في حياة ابن الجنان سنة ٦٤٨هـ .

انفرد ابن المرباط برواية اثنين وثلاثين نصاً في ٨٤٤ بيتاً ، وهو يؤلف حوالي ٦٥٪ من اشعار الشاعر .

اما المصدر الثاني لاشعار الشاعر ، فهو مجموع شعري مجهول العنوان ، والمؤلف انفرد برواية قصيدة واحدة للشاعر سماها ، القصيدة المباركة الشريفة في مائة واربعين بيتاً .

والمصدر الثالث لاشعاره ، هو نفح الطيب للمقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ) ، وانفرد برواية خمسة عشر نصاً في مائة وواحد وعشرين بيتاً ، والمصادر الثلاثة المتقدمة آنفاً ، يؤلف ما ورد فيها نسبة ٨٥٪ من مجموع شعره .

(٣٤) سعادة الدارين ٥٤٠ ،

(٣٥) تنظر ترجمته في هامش القصيدة (٢) من الديوان .

اما بقية أشعاره فتتوزع على ثلاثة مصادر هي : الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي ، وعنوان الدراية للغبريني (ت ٧١٤هـ) ، والاحاطة لابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ) أوردت هذه المصادر تسعة نصوص في مائة وأربعة أبيات .

نال شاعر الحيف والاهمال من الدراساتين المحدثين^(٣٦)، إذ لم تتلبث كتبهم عنده ، باستثناء كتابين هما ، سعادة الدارين ليوسف النبهاني ، إذ ساق له اربع قصائد في ثلاثة وسبعين بيتاً ، والحلل السندسية لشكيب ارسلان (ت ٧٦٦هـ)، إذ ساق له قصيدة واحدة في خمسة وثلاثين بيتاً .

من هنا نستطيع أن نقرر بأن أشعار الشاعر لم يكتب لها الذبوع والانتشار ، وظل تداولها محدوداً لدى طبقة من الادباء ، كذلك لم تتكرر روايتها ، باستثناء النسبة الضئيلة من اشعاره .

٤ . موضوعاته الشعرية :

يوشك أن يكون أبو عبد الله ، قد نظم في موضوعات الشعر العربي المعروفة ، جُلّها ، باستثناء الموضوعات التي باينت سلوكه الديني ، وسيرته القويمة ، اللذين نشأ عليهما ، وعُرف بهما ، اذ انعكست مبادئه على أشعاره ، فعزف عن النظم في هجر القول وباطله ، وضرب صفحاً عن موضوعات الشعر المنحرفة عن جادة الصواب .. كالغزل الماجن

(٣٦) وقفت الدراسات الحديثة وقفة عابرة عند أشعار ابن الجنان ، ومنها كتاب الدكتور محمد مجيد العيد الشعر في عهد المرابطين والوجوديين ، تحدث في فصل طويل عن الشعر الديني من ٢٥٦ - ٢٨٩ واكتفى بالإشارة الى خمسة الشاعر الميمية ص ٢٧١ ، كذلك اكتفى الدكتور -حكمة الأوسي في كتابه الادب الاندلسي في عهد الموحدين ص ٢٣٦ بالإشارة الى ان الشاعر قصائد في مدح النبي مفعمة شوقاً وصدق عاطفة .

والهجاء . . والدراسة المتأنية تكشف لنا عن شاعر غرير النتاج ، وإذا كانت موضوعات الشعر تتشابه في القصيدة الواحدة ، فاننا نستطيع أن نشير الى أبرز موضوعاته الشعرية حسب أهميتها .

أ- شعر الإلهيات :

تصدر الإلهيات^(٣٧) والنبويات^(٣٨) قصائد ديوان ابن الجنان ، وقد احتجج الديوان أربعاً وعشرين قصيدة تؤلف نسبة ٤٤٪ من محتويات الديوان ، اي أقل بقليل من نصف الديوان ، والموضوعان يأتيان متلازمين تلازماً قوياً ومتميناً ، ومقترنين أحدهما بالآخر اقترانَ ذِكْرِهِ عليه الصلاة والسلام بذكرِ الله تعالى في الأذان ، فلا يذكر الله الا ويذكر معه ، وذلك أمرٌ مألوف في قصائده ، مادام حلقة تامة ، فان الركن الاول من شهادة المسلم هو توحيد الله ، والركن الثاني هو الاقرار برسالته عليه الصلاة والسلام ، فمن ذلك قصيدته التي يتشوق فيها للحج الى بيت الله الحرام وهي في ثلاثين بيتاً ، وفي أبياتها يصور كرب التائبين وحزنهم الشديدين فيقول :^(٣٩)

له الله من ذي كربةٍ ليس يرتجى
لمرتحل يوماً سوى الله فارجا
يخوض بحارَ الذنب ليس يهابها
ويصعق ذعراً أن يرى البحر هائجاً
يتيه ضلالاً في غيابة هُمة
فلا حِجْرَ يهديه لرشدٍ ولا حِجْجا

(٣٧) تنظر قصائده : ١٥ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٨ ، ٤٠ ، ٥٢ ،

(٣٨) تنظر قصائده : ٢٥ ، ٥ ، ٦ ، ٨ ، ٩ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٧ ، ٣٨ ،

٤١ ، ٤٤ ، ٥٠ ،

(٣٩) ق ٢٠/٦ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٨ .

ويرجو الشفاعة من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خاتماً قصيدته
بذكره عليه الصلاة والسلام :

لعل شفيعي أن يكون معاجلاً
لداء ذنوب بالشِّفاء مُعالِجاً
فمالي لأمالي سوى حب أحمدٍ
وصلت له من قرب قلبي وشائجها
وبيت الله مما يهيج لواعج الشوق ، ونيران الصبابة ، اذ يرى دواعي
الحج واسبابه بصدور الركب أو وروده^(٤٠) :

يا حاوي الركب ، قف بالله يا حاوي
وارحم صِباةً ذي نأي وابْعَادِ
ما ينبغي عنك إلا أن تُصَيِّخَ له
سمعاً ليسأل عَمَن حَلَّ بالوادي

وتعود القصيدة عنده ضرباً من المواجد والاشواق المستعرة .

بين الجوانح نار للجوى وقدتْ
فان قدرت فاحمذ بعض اخمادِ
هيهات تسطيع اخماداً وذكرهم
يزيدُ نارَ ضلوعي نار ايقادِ
وجدى بهم وجد ذات الضمء جيلَ بها
عن وردها صرف رُود ووراد

واذا كانت العوائق قد حالت بينه وبين زيارة بيت الله الحرام ، فإنه
لا يعدم ابلاغ السلام ، وهو الغريب الذي ناء به الغرب :

(٤٠) ١/١٣ ، ٢ ، ٩ - ١١ ، ٢٨ ، ٢٩

واقراً سلامي على تلك الخيام كما
يرضى الوفاء بتكرير وترداد
وقل غريبكم في الغرب ناء به
يا حاوي الركب قف بالله يا حادي

وثالثة الاثافي قصيدته الضادية التي نظمها في وداع شهر رمضان المبارك
وحزنه لفارقة الشهر الكريم ، وتأتي قصيدته في عشرين بيتاً^(١) :
مضى رمضان وكأن بك قد مضى
وغاب سناه بعدما كان أومضاً
ففي بينه بين شجونك معلماً
وفي إثره أرسل جفونك فيضاً

وبعد أن يحدثنا عن مقام رمضان في نفوس المسلمين وإياديه البيضاء
عليهم ، وفضائله السابغة ، وجلال ليلة القدر بين لياليه ينتقل الى مدح
الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول :

جزاهُ الهُ العرش خَيْرَ جزائه
وأكرمنا بالعفو منه وبالصبر
وصلّى عليه من نبي مُبارك
رؤوفٍ رحيم للرّسالة مُرتضى

ومن قصائده الخالصة النزعة هائيته ، وهي مما نظمها على سبيل
الارتجال ، فقد حضر ابو العلاء بن المرباط عنده يوماً فسأله ان يكتب له
شيئاً ، فكتب ابو العلاء لفظ الجلالة «الله» وسأله أن يجعلها أول ما يفتح
قوله ، فكانت قصيدته في واحد وعشرين بيتاً ، أول البيت لفظ الجلالة

(٤١) ١/١٩ ، ٩ ، ١٦ ، ١٧

«الله» وآخره كذلك ، وهي في مجملها تعداد لآلاء الله ونعمه علينا ،
وضرورة الرجوع اليه دائماً ومنها^(٤٢) :

لله فضل في الوجود أفاضه كم نعمة وتفضل لله
لله ما أوفى وأوفر منة في كل شيء منة لله
لله فينا رحمة مبثوثة تحي بها ، ويرأفة لله

وفي قصائده في هذا الاتجاه ، دالته وهي في عشرة أبيات
ومطلعها :^(٤٣)

سأصبر حتى ينجز الله وعده ولا بد للرحمن أن ينجز الوعدا
وهو وإن استهلها بذكر الصبر والدعاء ، وعاد لذكره ثانية في البيت
السادس ، فإنها تدخل في باب الإلهيات ، إذ إن الشاعر يدعو الله
سبحانه ، ويذكره ويحمده ، ويرجوه أن يفرج أزمة حلّت به ، وقد تكون
أزمته أزمة المسلمين في عصره ، مما يمنح القصيدة بعداً إنسانياً ، وكعادته في
ذكر الله ، انه يشفعه بذكر نبيه ، ويطلب منه الشفاعة ، ويختمها باستخارة
الله سبحانه ، دون أن يسمي موضوعه الذي يستخير الله تعالى فيه فيقول :

وما زال لطف الله يفرجُ أزمة
إذا استصعبت عقداً أو استحكمت شداً
فيا من له اللطاف تأتي خفيّة
تدارك برحماها وميتها العبدا

(٤٢) ٤/٥٢ ، ٦ ، ٧ ، ٢٠ ، ٢١

(٤٣) ١/٨ ، ٣ ، ٤ ، ٧ ، ٩

ومالي مقالٌ غيرُ حمْدٍ مرددٍ
على كلِّ حالٍ فاقبلِ الشكرَ والحمدِ
فشَفِّعْهُ يا مَسْئُولاي واخصَّصْ جنابه
بأذكى سلامٍ ينضح المسكُ والنَّدا
وبالاتجاه ذاته تمضي قصيدته الميمية ، وفيها لزوم ما لا يلزم ، وهي في
ثلاثة عشر بيتاً يبدوها بذكر اليأس الذي داهمه ، ثم قتله الشاعر بعزيمته
القعساء ، وحلَّى نفسه بالصبر الجميل وتزىى بلباس التقوى ، وتسربل
بالتسليم والرضا التام والرَّجاء الصادق ، فهذه سبيل السعادة^(٤٤) :
إذا ماعلا يأس يغالب لي الرِّجا
ويحجب من رِيا الرضا ماتأرجا
وفيها يخاطب نفسه فيقول :
وميلي الى الصَّبر الجميل ، فإنه
لينصرُّ من للصبر ، مال وعرجا
وديني بتقوى الله ، يجعل بلطفه
لك الله من كل المضايق مخرجا
فهذي سبيلُ إن هُديتُ لقصدها
وجدت الى فرقى السعادة معرجا
ويتجلى هذا التسليم والاذعان في أجلى صورة في الابيات الثلاثة التي
قالها في مرض موته^(٤٥) :

جهل الطبيب شكايي وشكايي
أن الطبيب هو الذي هو ممرضني

(٤٤) ٧ ، ٥ ، ٤ ، ١/٧

(٤٥) ٣ - ١/٢٠

فإن ارتضى بُرئيء تدارك فضله
وإن ارتضى سقمي رَضِيْتُ بِمَارَضِي
مالي اعتراض في الذي يقضي به
لكن لرحمته جعلت تعرضي

ولا يفتأ الشاعر يمزج في قصائده ، بين دعاء الله سبحانه والتضرع
له ، والتوجه الى الرسول عليه الصلاة والسلام ، بطلب الشفاعة ، وهذا
ما تعرب عنه ميمته التي جاءت في خمسة ابيات^(٤٦) :

يا أرحم الخلق يوم الحشر والنّدم
أرحم عبيدك يا ذا الطول والنّعم
إني توسلت بالمختار ملجؤنا
الطاهر المجتبى من خيرة الامم
فهو الشفيع الذي أرجو النجاة به
من الجحيم اذ الكفار كالحمم

كذلك يستهل ثابته ، التي اختصها بمجدح الرسول (عليه الصلاة
والسلام) ، وهي في اثني عشر بيتاً ، يستهلها بذكر الله تعالى وتزنيه عن أن
يحيط به وصف ، الصفات في ثلاثة أبيات فيقول^(٤٧) :

يا من تقدّس عن أن يحيط وصف بـذاته
ومن تعالى جلالاً عن مشبه في صفاته

(٤٦) ٥ ، ٢ ، ١/٤٠

(٤٧) ١٠ ، ٩ ، ٢ ، ١/٥

وسرعان ما ينتقل الى مديح الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، الذي نور الهدى من سماته ، تسمو به درجاته الرفيعة ، ويكرر اسمه في ثلاثة ابيات ، هو فيها خير هاد ، وخير داع ، وخير مبد ، ويستخدم اسلوب التعجب في اظهار مكارمه السامية :

أَكْرَمَ بِهِ مِنْ نَبِيٍّ هَمَّتْ سَمَا مَكْرَمَاتِهِ
أَكْرَمَ بِهِ مِنْ رَسُولٍ سَمَتْ عِلَا دَرَجَاتِهِ

ومن شروط الايمان ، التوكل على الله والتسليم له ، وتفويض الامر اليه ، والايمان بأن كل ما يسوقه هو للخير ، وفي هذا الاتجاه يقول^(٤٨) :

عَلَّقْ رَجَاءَكَ بِالْإِلَهِ فَإِنَّهُ
مَأْخِذٌ فِي فَضْلِ الْإِلَهِ رَجَاءٌ
وَالْجَأُ إِلَيْهِ إِذَا عَرَّتْكَ مَلَمَةٌ
يَعْصِمُكَ إِيْوَاءُ لَهُ وَلِجَاءُ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْخَيْرَ فِي يَدِهِ فَمَا
شَاءَ الْكَرِيمُ بِهِ إِلَيْكَ يَجَاءُ

ويلاحظ أن شخصية المؤمن بالله تبقى مهيمنة عليه في جميع أحواله ، وإذا ما حلَّ به عارض أو نزل به أمر ، فإنه يعزوه الى الله سبحانه ، وحين يقف الشعراء وينظرون الى النواحي الجمالية من الكون ، فإن ابا عبد الله ينظر فيها على أنها مما يعزز الايمان ويقويه لان ذكر الله كان هاجسه ، وتسبيحه ، وتنزيهه سبحانه كان ديدنه ، فاذا انحس المطر ، واشتدت حاجة

الناس اليه ، وارتفعت أكف الضراعة ثم نزل ، فيسأله ابو العلاء بن
المرابط ، أن يقول شيئاً في ذلك ، فيقول^(٤٩) :

الغَيْثُ فِي الْغَيْبِ لَا يَدْرِي بِهِ أَحَدٌ
إِلَّا إِلَهُ الَّذِي يُعْنَى بِهِ السُّحُبَا
لِوَجْهِهِ الْحَمْدُ لَا نُحْصِي الثَّنَاءَ لَهُ
وَلَا نَطِيقُ لَهُ شُكْرًا كَمَا وَجَبَا

ويطول بنا المقام لو مضينا نتبع إلهياته جميعاً ، إذ أن الشاعر لم
يفادها ، أو يبتعد عنها الا لما ذلك لأن الله كان حاضراً معه في ضميره ،
حتى انه كلف أن يعارض رائية على بن الجهم في الغزل ، فعارضها ، واثبت
لحبيبه من الصفات ، ما يفوق ما أثبتته ابن الجهم ، فتفوق عليه :^(٥٠)

فَهَمْتُ بِمَحْبُوبٍ فَهَمْتُ كَمَا لَهُ
فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَّا لِحَضْرَتِهِ سِرِّي
حَبِيبُ تَعَالَى أَنْ يَحِيطَ بِوَصْفِهِ
مَقَالِي ، وَأَنْ يُحْصِيَ مَحَامِدَهُ شَكْرِي

وتشوب القصيدة نزعة صوفية ، حيث يتحدثنا عن كلفه وهيامه بالذات
الالهية فيقول :

فَكُلْ حِجَابٌ فَهُوَ عِنْدِي وَعِنْدَهُ
تَجَلٍّ ، إِذَا أَجَلُّوْا : بِأَذْكَارِهِ فِكْرِي
لَهُ الْكَلَّ مَنَى بَلْ هُوَ الْكَلَّ وَحْدَهُ
فَمَنْ أَنَا ؟ لَا أَدْرِي ، حَسْرَى وَلَا أَدْرِي
فَنَيْتَ بِهِ لَمَّا سَكِرْتَ بِحَبِّهِ
فَمَحْوَى إِثْبَاتِي ، وَصَحْوَى فِي سَكْرِي

(٤٩) ٤ ، ٣ ، ١/٤

(٥٠) ٢٠ ، ١٩ ، ١٦ ، ١٢ ، ٨ ، ٧/١٦

سقاني بأكواس المحبة صرّفها
فياحبّذا خمرُ المحبة من خمرِي

كذلك نجده يهتبل مناسبات كثيرة في تأكيد قضيته التي هي توحيد
الله ، وتعظيم مقام رسوله في النفوس ، وهو أمرٌ جليٌّ في قصائده^(٥١) .
ب- شعر النبويات :

أشرتُ أنفأ إلى تلازم شعر الآلهيات بشعر النبويات ، فالشاعر حينما
ذكر الله يذكر رسوله الكريم خاتماً به قصيدته ، مصلياً ومسلماً ، فقصيدته
الجيمية التي تقدمت يختمها بقوله :^(٥٢)

عليه سلام الله من ذي صسابةٍ
حليف شجا يكنى من البعد ناشجا

وآخر عينيته :^(٥٣)

وأهسدى إلى مشواه مني تحيةً
إذا قصدت باب الرضا لم تدفع

وآخر قصيدته الضادية التي تقدمت :^(٥٤)

وصلى عليه الله ما أسماه في شرف وما أولاه بالأسماء

وآخر قصيدته العينية كذلك :^(٥٥)

وعليك الصلاة بدءاً وعوداً ما أضأت ذكاء عند الطلوع

(٥١) ينظر فضلاً عما تقدم القصائد (٢) ، ٢٩ ،

(٥٢) ٢٩/٦

(٥٣) ٤/٢٤

(٥٤) ١٧/١٩

(٥٥) ١١/٢

وآخر قافيته: (٥٦)

وصل الصلاة عليه فهي وسيلة
بصلاتها دوح السعادة يورق

لكن الشاعر فضلاً عن ذلك أفرد قصائد خاصة في النبويات ، والسمة
الغالبة عليها مديح الرسول عليه الصلاة والسلام ، فالشاعر هائم بحب
النبي ، وهو يتفنن في عرض زوايا حبه إياه بأفانين الاساليب وأنماطها . .
فهو في ميدانه بارع ساطع ، وسهمه في مضماره مُفَوِّقٌ محلّق ، كيف لا ،
وآماله كلها تتجسد في حبّ النبي الكريم ، حتى انه يرجو أجفانه النُصفه ،
فتسلك دماء لا دموعاً: (٥٧)

فما لي لأمالي سوى حب أحمد
وصلت له من قرب قلبي وشائجها
ولو انصفت اجفانه حقّ وجده
سفكتُ دماء للدموع موازجها
ولذلك نجد الرسول (عليه الصلاة والسلام) في ضميره ، يعيش معه
في حله وترحاله ، ولا تكاد صورته تغادره ساعة من نهار ، فهو يرجو بجاهه
أن ينال الخطوة عند الله وغفران الذنوب وهو الصادق في حبه إياه في مقطعه
من سبعة أبيات منها: (٥٨)

أيذهبُ يوم لم اكفر ذنوبه
بذكر شفيع في الذنوب مُشَفِّع
ولم أقصر في حق الصلاة فريضةً
على ذي مقام في الحساب مرفَّع

٧/٢٦ (٥٦)

٧/٢٩ (٥٧)

٣٠ ، ٢٨/٦ (٥٨)

أرجى لديه النفع في صدق حُبّه
ومن يَرْتَجِ المختار لاشك ينفع
وتتكرر هذه النبرة عند الشاعر في عينية أخرى من سبعة أبيات
كذلك : (٥٩)

بحبيب القلوب معتمد الخلد
قِ أبي القاسم النبي الشفيع
قد تشفعت من ذنوبي الى ذي الـ
عزّة الواحدِ العُليِّ السميع
لظلومٍ لنفسه قد تنّاهى
في الخطايا وكلّ فعلٍ شنيع
ويشفع ابن الجنان الرسول (عليه السلام) ، ليكفر خطاياها ،
وذنبه ، ويرجو النجاء بحبه ، الذي يتوجه به لله سبحانه (٦٠) :

واستوهب الرحمن صادق حُبّه فبحبه فاز الهداة السُّبَق

والرسول الكريم هو فتّاح ابواب الخير ، به يدرك اليمن وتنال
المكانة ، وتدرّك الغايات السامية ولذلك حين ينوي ابن المرباط تأليف كتابه
«زواهر الفكر ، وجواهر الفقر» يسأل ابا عبد الله أن ينظم ابياتاً يجعلها أول
كتابه فيرتجل ابياتاً منها (٦١) :

ابدأ مقالك بالثناء على النبي
جلّت محامدُه عن الإحصاء

(٥٩) ١/٢٤ - ٣

(٦٠) ٥/٢٩ ، كذلك ٨/٨ ، ٩

(٦١) ١/٢ ، ٥ ، ٧ واقتران ذكر الرسول (ص) بالشفاعة والوسيلة كثير من ذلك ٢٦/٦ ،

١/٢٢ ٨/٨ ، ٢٢/٣٧ ، ٥/٤٠ ، ١/٤١ ، ٢/٥٠

واجعلْ وسيلتك التي ترجو بها
منه التجاوزَ ، صاحبَ الإسرائ
ختام ديوان الرسالة والهدى
فتاح باب شفاعة الشفعاء

وكذلك هو مسك ختام الامور ، وخاتم مسكها ، ولذلك يسأل ابن
المرابط شاعرنا ابياتاً يختم بها كتابه المتقدم أنفاً ، لكي يكون في ذكره (عليه
الصلاة والسلام) ميسماً ، وخاتماً^(١٧) :

اختم بذكر محمدٍ فذكره
يزكو شذا مسك الختام ويعبقُ
وانظم قلائد مدحه فنظامها
دُرٌّ على جيد المحامد يُنسَق
وارقم صحائفك الحسان بوصفه
فيه تروق الناظرين وتونق

وتتجلى في مدائحه للرسول (عليه الصلاة والسلام) ، نبرة تتكرر في
اكثر من قصيدة ، حيث يبذل جهده ، ويقف طاقته على سياق صفات
الرسول الكريم ، وخلال له ، فهو إمام جماعة المسلمين ، وأبهر الخلق ،
وصفاته أعجزت أهل البراعة أن يصفوها ويدركوا أنحاءها^(١٨) :

بخاتم الرسل ، أعني إمام تلك الجماعة
لأبهر الخلق مجداً يحكى الصُّباح نَصَّاعه
لمن صفات عـلـاه تُعجزُ أهلَ البراعة

(٦٢) ٨ ، ٦ ، ٥ ، ١/٢٩

(٦٣) ٤ ، ٣ ، ٢/٢٢

ويبدو أن أعظم أمر ، وأسمى سبيل يمكن أن يقدمه المسلم للرسول الكريم - من الناحية النظرية - فيما جاء في الآيات والأحاديث النبوية يكمن في توجيه الله تعالى للمسلمين بقوله : «إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً»^(٦٤) فالآية الكريمة تتضمن فعليَّ الامر «صلوا» و«سلموا» ولذلك يتجلى هذا الامر واضحاً لدى ابي عبد الله ، ويتنامى حتى يتجسم في حقيقة أن الصلاة عليه تصبح هدفاً وغاية في أشعاره ، في ثلاث قصائد ، ميميتين في بحر الكامل ، ودالية في الطويل ..

جاءت الميمية الاولى في اثنين وعشرين بيتاً ، استهل أبياتها السبعة الاولى بجملة «صلوا على» وانسأقت في محورين .. أحدهما : يقدم على تعداد خصاله السامية ، وصفاته الرفيعة ، وآخر يقوم على أساس تفردّه بالمعجزات الخارقة ، ومن النمط الاول قوله :^(٦٥)

صلوا على خير البرية خيماً
وأجلّ من حاز الفخسار صميماً
صلوا على من شُرِّفَتْ بوجسوده
أرجاء مَكَّةَ زمزماً وحطياً
صلوا على هادٍ أَرانا هديُّه
نهجاً من الدّين الخفيف قويماً
ذاك الذي حاز المكارم فاغتدت
قد نسظمت في سلكه تنظيماً

(٦٤) الاحزاب : ٥٦

(٦٥) ٨ ، ٥ ، ٢ ، ١/٣٧ (٦٥)

ومن النمط الثاني قوله : (٦٦)

وبدت شواهد صدقه قد قُسمت
بِـسَدْرِ السدجى لقسيمه تقسيما
والشمس قد وقفت له لما رأت
وجهاً وسيماً للنبي وسيما
كم آية نطقتْ تصدقُ أحدا
حتى الجمادُ أجابه تكلِما
والجذع حنَّ حنينَ صَبٍ مُغرم
أضحى للوعات الفراق غريما

ويختتمها بقوله :

يا أيها الرَّاجون منه شفاعَةً
صلوا عليه وسلّموا تسليما
أما قصيدته الميمية الثانية فقد جعلها خمسة - وهي الوحيدة في
ديوانه - فقد بنى شطرها على جملة «صلوا عليه وتسلموا تسليماً» في تسعة
وعشرين مقطعاً ومطلعها : (٦٧)

الله زاد محمداً تكريما
وحباه فضلا من لدنه عظيما
واختصه في المرسلين كريما
ذا رافقة بالؤمنين رحيماً
صلّوا عليه وسلّموا تسليماً
وهي الأخرى تقوم على المحورين المتقدم ذكرهما آنفاً ، ومطلعها مما
يجري في المحور الأول ، ومما جاء في المحور الثاني قوله :

(٦٦) ١٢/٣٧ - ١٥ ، ٢٢

(٦٧) ١/٣٨ ، ١٩

بَرَكَاتِهِ أَرَبْتُ عَلَى التَّعْدَادِ
كَمْ أَطْعَمْتُ مِنْ حَاضِرٍ أَوْ بَادِي
مِنْ قِصْعَةٍ أَوْ حَثِيَةٍ مِنْ زَادٍ
رِزْقاً كَرِيماً لِلْجِيُوشِ عَمِيماً
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً

وأما ثلاثة الاثافي فداليتة المعروفة بـ «القصيدة المباركة الشريفة» وهي في مائة وأربعين بيتاً ، ولاهيتها أفردنا القول فيها في بحث سابق ،^(٦٨) وهي أطول قصيدة للشاعر في هذا الموضوع .

الأول : تعداد معجزاته (عليه الصلاة والسلام) والامور الخارقة التي أجراها الله له على يديه

الثاني . مقامه عند الله ، ومنزلته التي آثره الله بها دون الانبياء أو الناس

الثالث : التحدث عن شمائله وكريم صفاته وخلالله .

وإذا صُحَّ ما رآه الدكتور مصطفى سويف^(٦٩) ، في تحليله لقصائد عدد من الشعراء المحدثين ، من أن القصيدة الطويلة عنده «عملية كبرى» مركبة تساهم فيها عمليات صُغرى ، وأن الشاعر يبدع قصيدته قسماً قسماً . . فان هذه المحاور الثلاثة تمثل أقسام القصيدة .

وأما الحديث عن معجزات الرسول (صلى الله عليه وسلم) فحديث تناولته الأقلام وتعاودته ، ولكننا نشير الى رأي الشيخ يوسف النبهاني اذ يقول :

(٦٨) القصيدة المباركة الشريفة ، مجلة الرسالة الاسلامية ص ٩٧ (وزارة الاوقاف -

بغداد/١٩٧٦ سنة ١٩٨٤)

(٦٩) الاسس النفسية للابداع الفني ٢٦٦

«كانت معجزاته ودلائل نبوته (صلى الله عليه وسلم) أكثر وأعظم ، وأظهر وأدوم من سائر معجزات النبيين ودلائل نبواتهم ، بل لو اجتمع جميع ما ظهر على أيديهم من ذلك مضاعفاً أضعافاً كثيرة لما عادل فضيلة واحدة له صلى الله عليه وسلم وهي القرآن .

كما أن جميع فضائلهم صلوات الله عليه وعليهم ، لو اجتمعت لما عادلت فضيلة واحدة له صلى الله عليه وسلم وهي المعراج ، وما حصل له فيه ، ، ولم يرد لأحد منهم صلوات الله عليه معجزة الا ورد له صلى الله عليه وسلم ما هو اعظم منها او مثلها . . وله من المعجزات الباقية ما لا يحصى ولا يعد .

فمن ذلك بل أعظم ما هنالك كلام الله القديم ، وقرآنه العظيم ، فإنه يشتمل على آلاف كثيرة من المعجزات والدلائل . . ومن ذلك كرامات أولياء امته صلى الله عليه وسلم . . (٧٠)

ومن البحوث القديمة التي ناقشت معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام ، ما كتبه القاضي عبد الجبار الأسد أبادي (ت ٤١٥ هـ) في اثبات سائر معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم سوى القرآن ، وبيان دلالتها على نبوته حيث جعلها على أضرب ثلاثة (٧١) :

- ١ - ما تعلم صحته وثبوت ، إما باضطرار ، وإما باستدلال .
- ٢ - ما ظهر واشتهر ببعض الطرق التي تعلم منها الاخبار .
- ٣ - ما ينقل نقل الأحاد ، ويكثر ذلك .

(٧٠) حجة الله على العالمين ص ٣ .

(٧١) المغني في أبواب التوحيد والعدل - اعجاز القرآن - ٤٠٧/١٦ - ٤٢٣ .

ثم ذكر كثرة المصنفات في هذا الباب ، وساق امثلة لمعجزاته في
الضريين الاولين في مناقشة منطقية هادئة ..

وللقاضي عياض (٥٤٤ هـ) مصنف عن الرسول عليه الصلاة
والسلام تناول فيه معجزاته فجعلها صنفين^(٧٢) :

صنف : مقطوع به وقائم ومفهوم بالضرورة .

وآخر : لم يروه الا العدد اليسير .

اما ابن كثير الدمشقي (٧٧٤ هـ) فيرى أن معجزاته (عليه السلام)
معنوية وحسية^(٧٣) وقد فصلنا القول في مرامي القصيدة في البحث الذي
أشرت اليه آنفاً ، فلا أريد أن أطيل في غير مطال .

ج - شعر الأخويات والمراجعات :

تبدو قصائد ابن الجنان في هذا المجال ، مقرونة بالمناسبات ، كالتهاني
والتبريك بدخول أحد العيدين ، الفطر أو الأضحى ، او تهنئة بمولود ،
وكالتعازي والمواساة بفقدان عزيز .. وحلول نكبة طارئة ، او مرض
عارض .

وجل هذه القصائد ان لم يكن جميعها يدخل في باب الأخويات ، لأنه
في أكثره يعنى بشؤون أصحابه وأترابه من أبناء عصره ، ولم يتوجه به بقصد
مديح الامراء أو الوزراء من أصحاب السلطان ، كان كثير التفقد لاخوانه ،
متبعاً لأخبارهم وشؤونهم ، وكذلك كان شأنهم معه بل تجاوز الأمر ذلك الى
انه كان يستجيب لكثير مما اقترح عليه ، فيرتجل الابيات من ساعته ، ويحقق
لهم سؤلهم ونفسه قريرة بذلك ..

(٧٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ص ٢٠٩ (ط حجربة ١٢٧٦ هـ) .

(٧٣) البداية والنهاية ٦/٦٥ .

وقد نشط ابو عبد الله في شعر المجاوبات والمخاطبات ، وهو موضوع وثيق الصلة بالأخويات ، وحلقة من حلقات ارتباط الشاعر ببيئته الاجتماعية ، وتفاعله مع أبناء عصره ، ومن ألوان شعر الأخويات شعر المجالس الأدبية ، وقصائد التقريظ والتذليل والمعارضة .

وهذه الأشعار في مجملها تؤلف نسبة كبيرة من أشعاره بحيث تحرز المرتبة الثالثة بعد شعر الالهيات والنبويات . .

ومن قصائد التهاني ميميته التي جاءت في ستة أبيات ، يخاطب فيها أبا بكر بن المرباط ، ويبث فيها لواعج الشوق ، بعد أن فرّق الدهر بينهما ، وشتت شملهما ، ويشعر بالحزن لعدم اجتماعه بأخيه في مناسبة العيد^(٧٤) :

دنا العيدُ لَيْتَ العيدُ لم يدنُ وقته

فقد هاج لي وَجْداً وزادَ عراما

وذكرني إقباله بمواسم

مَضتْ كن بالشمل النظيم كراما

عسى أحرني تحظي بقربِ مُنى المنى

فَتَنى الى أهل الصفاء سَلاماً

وصلة أبي عبد الله بأبي بكر^(٧٥) وطيدة وقوية ، وقد سجلها ابن عم أبي بكر ، صاحب زواهر الفكر ، ابو العلاء محمد بن علي بن المرباط ، في كتابه ، فحفظ لنا سبع قصائد تضاف الى السابقة تقع في حوالى مئتين وخمسين بيتاً . ومما يجري على غرار القصيدة السابقة ، أربع قصائد ، ونُقدَر أنها نظمت بعد عام ٦٤٠ هـ وفي أوقات متقاربة ، لانه يتحدث فيها عن

(٧٤) ١/٣٦ ، ٢ ، ٥ .

(٧٥) لم أقف على ترجمته في المصادر التي توافرت لديّ ، وهو يبدو من خلال قصائد ابن الجنان من أفرانه ، عالماً وقاضياً وفقهياً .

دواعي الفراق ، وآثاره عليه ، وقد رحل الشاعر عن مرسية وطنه بعد سقوطها بأيدي النصارى سنة ٦٤٠ هـ ، وبرحيله عنها فارق أباه وأخويه ، وصحبه المقربين ومنهم أبو بكر بن المراتب .

أما عينيته فهي تمثل أبا عبد الله في شوق عارم ، على الأيام المنصرمة ، والمغاني المغدقة بحبهم . وهي تصدر عن قلب منقطر ، ونفس كسيرة ، تودع - في ساعة مروعة - انساناً ذا مقام جدّ قريب لا يدري أبو عبد الله ، لعلها ساعة وداع لا لقاء بعده^(٧٦) :

يساليت شعري هل يُرى من بعدِ فرقتنا اجتماع ؟
وهل التداني جابرٌ مني فؤاداً ذا انصداع ؟
أني سألتك ذاهلاً والفكر في كف الضياع
وقصيداته الثالثة والرابعة طويلتان ، تندرجان في باب المجاوبات ، لأنها جاءت في الجواب على ما ورده من أبي بكر بن المراتب ، والأولى دالية في ثمانية وثمانين بيتاً ومطلعها^(٧٧) :

سلام كما قد جاء من ذلك المجدي
كشمس الصبا جرّت ذيولاً على نجد

ويصوره بعيداً عنه ، وقد أجمع مشاعره ذلك البعد والشحط ، تحرق أحشاؤه ، وتتصور ألماً وحرزاً : وتحن حنين الناقة المسنة التي يضرب بها المثل في الحنين ، إذ إنه في رحيله عن دياره كان مكرهاً بعد هيمنة العدو على ديار المسلمين ، وسقوط مرسية ، تحت سلطانه سنة ٦٤٠ هـ مما حمل الشاعر على الرحيل :

(٧٦) ١/٢١ ، ٣ ، ٦ وتنظر الابيات ٨ ، ٩ .

(٧٧) ١/١١ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٦ ، ٤٧ .

أحنّ حنين النيب نحو دياركم
وأشكو، وقلبي في ذراكم ، من البعد
فيالغريب الدار لهفان موجع
غريق بماء الدمع ضمان للمورد
وإن الذي بي من جوى وصباية
مُذبي ولو صُورت من حَجَرٍ صلد

ويصور لنا الشاعر العوائق والحواجز التي تحول بينه وبين وطنه
واحبته ، إذ إن القصيدة تصوره وقد حال البحر دونه ، فقطع أسباب
المودة ، ويلوح للقارئ ان ابن الجنان نظر الى رفيق عمره ، أبي بكر بن
المرابط على أنه رمز من رموز الوطن السليب ، ولذلك تفيض عواطفه وتجد
في خطابه على هذا النحو :

تسيرها تجري اليك سوابحاً
سوابق أمثال المطهمة الجرد
تطير بأجناح الرياح ، وتسارة
إذا ماونت مدّت مجاذيف للوخذ

ان قصائد المجاوبات كانت على صورة فنية تشبه قصائد المعارضات
التي شاعت في بيئة الأندلس في بعض دواعيها وغاياتها ، وفيها يلتزم الشاعر
الوزن والقافية ، وهو ما يتجلّى واضحاً في قصيدته اللامية التي يجيب فيها
على رسالة وصلت اليه من أبي بكر بن المرابط في أربعة وعشرين بيتاً
ومطلعها^(٧٨) :

زارت صباحاً ودوّح البان مطلول
عليلة نشرها للصبّ تعليل

(٧٨) زواهر الفكر ورقة ١٢ .

وقصيدة ابن الجنان الجوابية تنيف في عدد أبياتها على قصيدة ابن
المرباط حيث جاءت في ستة وخمسين بيتاً، وهي لا تختلف في كثير عن
القصائد الثلاث التي تقدمت، كما تتفق مع سابقتها الدالية، في بث
الشجون واسبال الشؤون في وطن الغربة، حيث يصوّر نفسه هائماً تائهاً،
ضلّ طريقه، حيران ظمآن في طريق الفراق الموحش^(٧٩) :

أنا الذي وصلت أسباب وحشته
وليس بي سبب للأنس موصول
وقطع الوجد أحشائي فلي كبّد
نجيعها في طول البعد مطلول
ويشير الى المنتدى الذي كان يجمعهم، منتدى الوزير ابن عصام،
ومجالسهم العبة فيه، ثم يختم مورياً ببعض الاصطلاحات الحديثة فيقول :

وحيث «ابن عصام» والندى وطن
قد حلّ فيه من أبناء العلاجيل
هذا حديث اشتياقي، وهو مختصر
وربما قيل فيه: القول مملول
خذه عني، صحيح النقل، متصلاً
ففي الأحاديث، مقطوع، ومعلول
وآخر ثلاث قصائد تتصل بأبي بكر بن المرباط لامية، وهائيتان،
والأولى وجهها ابن الجنان اليه بعد مرضه، وأخذه الدواء داعياً له بالشفاء،
وفيها يعمق مفهوم التخفف في زيارة المريض، وعدم الاثقال عليه^(٨٠) :

(٧٩) ٣/٣٣، ٤، ٧، ٨، ٢٠، ٣٧، ٣٩، ٥٠، ٥٤، ٥٥ .

(٨٠) ١/٣٢-٢ وينظر هامش القصيدة .

لا يزور الخليل عندي خليلاً
يوم أخذ الدواء الا ثقيلاً
كيف أصبحت؟ كيف أنت؟ سؤالاً
من بعيد حسبي به تطويلاً
ولما فرغ ابن المرباط من دوائه ، وتمائل للشفاء ، أجابه في ثلاثة عشر
بيتاً ملتزماً القافية والوزن :

يا خليلي بل سيدي فهو الحق
ق رويداً بالله شيئاً قليلاً
وفيهما ينكر عليه نسبة الثقل الى الخليل ، لمكانته الخاصة من نفسه
حيث يجد فيه الراحة والشفاء :

أنتَ والهِ راحتي وشفائي
فإذا لم أبصرَكَ كنتَ العَلِيلاً
اما هائيتاه ، فمقطعة ومطولة ، وهما متصلان بمناسبة واحدة ،
والمقطعة بخمسة أبيات ، يهنيء فيها ابن المرباط على قصيدة نبوية ميمية في
خمسین بيتاً ، مستهلة أبياتها بلفظة «سلام» ومطلعها :

سلام كما مرّت على الرّوضة الصّبا
فنمت بما أخفت صدور الكهائم
وتقع التهتة موقعاً حسناً من ابن المرباط
أهدى الى خير الانام تحسية
مهدي هده الى السلام هده

فيجيبه ابن المرباط معرباً عن حبه اياه :

يامن غدا بجوانحي مشواه
حباً طوى قلبي عليه الله
وهي في أربعة عشر بيتاً ، يشكره فيها على هديته فيقول^(٨١) :

أهديت لي ما أرتجي بقبوله
كرم الإله وأن انال رضاه
وينطوي جواب أبي عبد الله على اعجاب وثناء ، اذ يرى فيه قدوة
صالحة ، حيث تمضي القصيدة في أبياتها على هذا النهج ، فابن المرباط ، بحر
ومزن ، وهو محيٍ لقلب الشاعر^(٨٢) ، ألم يقل فيه^(٨٣) :

الله ألهه البيان ولو أرى
رأى الغلالة لقلت : بسل أوحاه
ويأتي بيت القصيد في البيت الخامس والعشرين ، حيث تصل بقية
ايات القصيدة به وتدور حوله :

فاذا رمى بحكمةٍ في محفلٍ
حكمت له فيه برغم عداه

فما تكون هذه الحكمة ؟ قصيدة اي قصيدة ! تحرس الشعراء ،
وتنتزع منهم الاعجاب فيذعن امرؤ القيس وزهير لها . . وهي من البلاغة
بمكان بحيث تتعشق الالباب سحر بيانها ، وصناعتها تنسي وشي وقماش

(٨١) ١/٥٠ وينظر هامش القصيدة كذلك .

(٨٢) تنظر الايات : ١٢ ، ١٣ ، ٢٣ .

(٨٣) ٢٣/٥١ .

صنعاء ، فهي غائبة عن بديع الزمان الهمداني مُغفلة عن خطباء العرب ورواتهم ، قس وسحبان والاصمعي^(٨٤) .

ويجعل حكمه فيما أبدع مناظراً لحكم سميّه (يحیی) عليه السلام على نحو مانعته الله في القرآن الكريم^(٨٥) :

ما الحكم إلا ما نطقت بفضله

والحكم قدماً حازه «يحياه»

أسميّه ، إله أنت مباركاً

أسماء ربّ العرش إذ سماء

وثاني الاثنين اللذين أسلس لهما ابن الجنان قياد شعره ، وأسمح الزمان بينهما فتخاطبا واقتربت أشعاره به ، ابن عم المتقدم أنفاً العالم الفقيه ، ابو العلاء محمد بن علي بن المرباط ، صاحب كتاب «زواهر الفكر وجواهر الفقر» ، الذي عرفنا به سابقاً^(٨٦) ، اذ يحرز ابن الجنان عنده مكانة رفيعة ومنزلة سامية ، فهو يتفاهل بمقاله ، ويتبرك بنظمه .. ومجموع ما نظم ابن الجنان مقروناً بأبي العلاء سبعة نصوص سنقف عليها فيما يلي ..

في أول كتابه يذكر انه سأل ابن الجنان ان يقول في ذلك ، فيجيبه على البديهة في أحد عشر بيتاً منها قوله^(٨٧) :

ابدأ مقالك بالثناء على النبي

جلّت محامده عن الاحصاء

ويكرس بقية أبيات القصيدة لمدح النبي عليه الصلاة والسلام ، كذلك يفعل حين يسأله ابو العلاء أن ينظم أبياتاً بعد أن أتم تأليف السفر الثالث من كتابه فيرتجل أبياته السبعة مستهلة بقوله^(٨٨) :

(٨٤) تنظر الابيات : ٢٩ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨ .

(٨٥) ١ ص / ٤١ ، ٤٢ .

(٨٦) تنظر ترجمته في الذيل والتكملة ٤٥٣/٦ .

(٨٧) ١/٢ .

(٨٨) ١/٢٩ .

اختتم بذكر محمد فبذكره

يذكو شذا مسك الختام ويعبق

وحين يجمع الله بين شاعرنا وأبي العلاء في أوريولة ، حيث كان الناس يرقبون نزول المطر ، ويرغبون فيه لحاجتهم إليه ، يسأله أبو العلاء أن يقول في ذلك فيرتجل على البديه ستة أبيات منها^(٨٩) :

الغيث في الغيب لا يدري به أحد

إلا الإله الذي يُمنى به السحبا

ويعود الى مخاطبته ثانية بعد رحيله من سبتة الى بجاية فيقول^(٩٠) :

أبأ العلاء وأنت تدري ما الذي

تطوي عليه من الوداد ضلوعي

راعيْتُ فيها للوفاء أذمة

إن الوفاء أحق شيء روعي

ومخاطبته في الثالثة من بجاية كذلك في قصيدة وصل بيت منها يقول

فيه^(٩١) :

أبأ العلاء وانت مني حلة

بمشابة الايثار والتكريم

ولا نعرف عن أبي العلاء بن المرباط في الترجمة الوحيدة لابن عبد الملك المراكشي له ، أنه كان يقول الشعر ، وكتابه «زواهر الفكر» الذي ألفه ليكون مجموعاً شعرياً لكثير من شعراء عصره ، يخلو من أشعار له ، ولذلك كانت رسائل ابن الجنان من طرف واحد لا كما حصل مع ابن عمه أبي بكر بن المرباط .

(٨٩) ١/٤ ، ٥ .

(٩٠) ١/٢٥ ، ٣ .

(٩١) ق ٤٢ .

وأطول قصائد شاعرنا المقترنة بأبي العلاء ، هائيته التي جاءت في واحد وعشرين بيتاً ويمهد لها بقوله :

فسأله ان يكتب لي شيئاً . فقال لي : ما تريد ؟ فكتبت له كلمة «الله» ، وقلت : اجعل هذه الكلمة الشريفة أول ما تفتتح . فيجيبه الى ما أراد مفتتحاً باللفظة وخاتماً كذلك بها :

لله أبعثُ رغبتى متيقناً الا يخيب راغب لله
وتمضي القصيدة في أبياتها مُنصَّبة على بيان إنعام الله على الانسان وآلائه وأدب الانسان معه . وفي ابياتها الاخيرة يتحدث عن سلوكه مع الله ، فيتبع لفظة الجلالة المسبوقة باللام بالافعال التالية : ألجأ ، آوى ، أبسط ، أسأل ، ادعو . . ثم يختم قصيدته على نحو ما يختم إلهياته بذكر الرسول الكريم وتشفيعه إياه

لله وسَّلتُ النبي محمداً أكرم بتلك وسيلة لله
لله ما أجدى ، تشفع مذنب متشفع بمحمد لله

وإذا كانت قصائده مع أبي العلاء ابن المرباط تدخل في باب الاخويات فقط ، لا المجاوبات لأنها كانت رسائل شعرية من ابن الجنان فقط ، فإن مما جرى على منوال مراسلات شاعرنا مع أبي بكر بن المرباط التي كانت قصائده أخوية وجوابية كذلك قصائده مع عالمين جليلين من علماء عصره هما : أبو عبد الله عابد الاندلسي^(٩٢) وأبو الحسن الرعيني^(٩٣) ، وهي رسائل شعرية نثرية تنطوي على براعة لغوية ، إذ علم بأن ابا عبد الله دخل الاندلس وتولى الكتابة لبعض رؤساء الاندلس ، فكأنه أراد اختباره وقصد تهنئته لتوليه

(٩٢) لم اقف على ترجمته فيما لدي من مصادر .

(٩٣) تنظر ترجمته في هامش القصيدة ٤٦ .

الكتابة بأسلوب طريف ، اذ التزم في رسالته حرف العين في كلماتها أجمع وكذلك الشأن في أبياتها الخمسة التي تسبقها ومطلعها^(٩٤) :

يا ظاعناً عنا ظعنْتَ بعصمة ورَجعت معتمداً بعر صاعد
وكان على ابن عابد أن يجيبه ملتزماً ما التزمه ، قال ابن عبد
الملك^(٩٥) : فشاعت هذه الرسالة بالأندلس ، وتنقلت شرقاً وغرباً ، وتحدث
بعجز ابن عابد عن مراجعة ابن الجنان ، فراجعته شيخنا ابو الحسن الرعيني
رحمه الله - عاتباً ، وزاد التزام العين قبل روي الابيات الدالية التي افتتح بها
هذه المراجعة ومطلعها :

أَعِدَّ العهدَ للعميدِ بعطفِهِ تعنى برجعة عهدِكَ المتباعد
وهي سبعة ابيات تعقبها رسالة في حوالى ثلاث صفحات . . فماذا
يكون من شاعرنا ابن الجنان ؟ اجاب الرعيني برسالة مستهلة بقصيدة نونية
في عشرين بيتاً ، تعقبها رسالة في حوالى خمس صفحات ومطلع
الابيات^(٩٦) :

أتعتبني عمادي عمدَ عيني وعين العذر تعرفه كعيني
واذا كان الرعيني قد التزم في مراجعته السابقة العين ، قبل روي
الآبيات في قافيته المؤسسة ، التزاماً اضافياً ، فان ابن الجنان فاقه حين جعل
نونيته المردفة بالياء مختومة بكلمة «عين» في أبياتها أجمع مستفيداً من سعة
اللغة في معاني كلمة «عين» . فما يكون من الرعيني الا أن يجيبه ثانية ، مقراً
له بالبراعة والتفوق برسالة في حوالى خمس صفحات مستهلة بثلاثة وعشرين
بيتاً مطلعها^(٩٧) :

علاك علتْ علو الشعرين

مصاعده لإعلى المطلعين

(٩٤) قد ١٥ .

(٩٥) الذيل والتكملة ٣٣/١/٥ .

(٩٦) قد ٤٦ .

(٩٧) الذيل والتكملة ٣٤١/١/٥ .

وهي على غرار القصيدة المجابة ، من حيث اختتام أبياتها بكلمة «عين» ويبدو أن هذه المجاوبات الأدبية كان لها صدى في عالم الأدب آنذاك ، إذ يُدلي بدلوهُ عالم أديب هو ابو المطرف بن عميرة (ت ٦٥٨ هـ) ^(٩٨) ، ويدخل مضمارها معجباً بالأدبيين «الرعيي وابن الجنان» فيجعل ميسم اعجابه بهما رسالة في حوالي صفحتين مستهلة بأربعة أبيات يلتزم بحرف النون في كلماتها أجمع ، من حيث أن اسميهما يتضمنان حرف النون ومطلع أبياته :

محاسن دنيانا تبين لناظر
يُنقُب عنها مُستبيناً لَعَيْنِهَا

ولم تكن هذه الاحداث السياسية الجائحة ، لتدع هذه الارجحية الادبية في استرسالها تفيض وتغدق ، بين هؤلاء الأدباء ، إذ إن الرسالة النونية ، لم تصل الرعيي - لا ندرى إن كان حظ ابن الجنان كذلك - اذ كان اختلال واضطراب الاحداث حائلاً سنة ٦٥٥ هـ ، عبّر عنه ابن عبد الملك المراكشي بقوله : «فقطع عن بعثها اليه ، ما طرأ في الجزيرة من اختلال وتفرق كان لغير اتصال» ^(٩٩) ، وقد حفظ المراكشي رسالة الرعيي الموجهة الى أبي المطرف بن عميرة ، يتشوق فيها الى هذه الرسالة النونية ^(١٠٠) .

ولكن ما أبعاد رسائل ابن الجنان مع ابن عابد والرعيي ؟

واضح انها كانت مكرّسة لإظهار البراعة الفنية في اللغة والبديع ، في تواضع جم لا يفسده عُجبٌ أو تبجّع .. إذ إن معاني تلك القصائد كانت

(٩٨) ينظر عنه الدراسة المستفيضة للدكتور محمد بن شريفة ، ابو المطرف بن عميرة ، حياته وآثاره - ١٩٦٦ .

(٩٩) الذيل والتكملة ٣٤٨/١/٥

(١٠٠) نفسه ٣٥١/١/٥

تجري في الاتجاه العام لقصائده ، التي كرسها لإجلال القيم الخلقية ،
وتأصيلها ، فهو يعلن عن تواضعه الأدبي فيصف نفسه بالعجز^(١٠١) :

وعجزني مُغْلِنٌ بِالْعَذْرِ عَنِّي فَدَعُ عَتَبِي أَيَا سَمْعِي وَعَيْنِي
وَضَعْفِي عَاقِبِي عَنِ بَعَثِ عَيْنٍ تُعَوِّضُهَا بِعَقِيَانٍ وَعَيْنٍ
كما انه يحل ما يأتي من غيره ، بعد أن يعترف بقله بضاعته :

وَتُبَدَعُ لِلْمَعَالِي مَعْجَزَاتٍ فَتَطْلُعُ لِلْعَيُونِ شُعَاعُ عَيْنٍ
فِيَا عَلَمًا لِإِعْلَامِ عِظَامٍ عَلَا بِالْعِلْمِ أَعْلَى الْمُطْلَعِينَ
ويختتم قصيدته باعتراف جديد ينم عن التواضع كذلك حيث إنه كرّر
في بيتين - خطأ - كلمة «رعين»^(١٠٢) قبيلة أبي الحسن التي ينسب لها ، أي أن
الكلمتين جاءتا بمعنى ، كما أنه يعترف بأنه غفل عن التزام العين في كلمتين
آخرين^(١٠٣) .

ومن أخويات ابن الجنان ، بعدما تقدم من استعراض أشعاره مع أبي
بكر وأبي العلاء ابني المرباط ، وابن عابد ، وأبي الحسن الرعيني ، ثلاث
قصائد دالية ولامية في التهئة بمولود ذكر رزقه الوزير ابو بكر الاصيلي^(١٠٤) ،
اما الثالثة فهي عزاء ومواساة لوفاة ابن أخيه . . . وسنقف عندها في موضع
لاحق من الدراسة .

وداليتة في خمسة عشر بيتاً ، يستهلها بقوله ، يهنيء . . بطلوع طائر
السعد ومطلعها^(١٠٥) :

هنيئاً به تجلى العلا والمحامد
واسعد مولود لا مجد والد

(١٠١) ١٢، ١١، ٨، ٣/٤٦

(١٠٢) أشار المحقق إلى البيتين (١٧، ٢)

(١٠٣) كذلك أشار المحقق ، وهما : (٢ ، ١٩) .

(١٠٤) لم أقف على ترجمته فيها لدي من مصادر

(١٠٥) ١٥ ، ٨ ، ٥ ، ١/١٢

وهي تهنئة ومدح ، واجلال للاصل والفرع ، فالمولود أكرمُ منتم الى
قادة المسلمين ، وهو ابن الامجد ، ورث الأصالة عن أبيه سليل المحتد
الرفيع والفضل والسجاياء وحق له أن يفخر ويزهو ، وبيارك هذا النسل ويقر
عيني ابيه ثم يدعوه باليسر والسعادة :

وأوجد منه السعد أكرم منتم
إلى «طارقي» في المكرمات و«خالد»
له في نصاب المجد والملك نسبةً
تنادي بنادي الفخر هل من محاجد؟
ودامت له السراء تعمس ربعه
فتُصفي من الآمال عذب الموارد

اما قصيدته اللامية فينص على انها تهنئة بطلوع مولود ذكر ، كما ينص
على انه يعارض فيها عصرية الفقيه ابا بكر بن محرز ، وقد ساق لنا قصيدة
ابن محرز بعدها مباشرة وذكر انها ايضاً في تهنئة الوزير ولكن بطلوع بنت
لا ذكر ، ومطلع قصيدة ابن الجنان وهي مطولة في ثمانية وستين بيتاً على
مجزوء الكامل^(١٠٦) :

بالسعد طالعك المهل لطلوعه العليا تهل

د - شعر الرثاء :

رابع موضوعات الشاعر ، من حيث كمية الإنتاج ، على الرغم من قلة
عدد قصائده فيه ، فهي سبع فقط ، لكنها تؤلف نسبة ليست قليلة من مجمل
ديوانه ، اذ تتميز قصائده بالطول ، ومجموع أبياته حوالى اربعمائة بيت ،
وهي في اتجاهها العام تميل الى النذب والتفجع ، واظهار اللوعة ، والجزع

(١٠٦) ١/٣١ ، ٦ ، ١٨ ، ٣٦ ، ٤٨ ، ٥٩

من المصاب الجلل الذي رزته الشاعر ، لكن القصائد ليست جميعها بنفس
واحد ونبرة متكررة ..

تقع غرة قصائده وأطولها ، فائته ، في واحد وسبعين ومائة بيت ،
وهي من البسيط ، أطول قصائد ديوانه ، وحق للشاعر أن تجود عاطفته
وتفيض في مصاب مثل مصابه ، ومن مثل الأب صلة بالإبن وقد لابت
ظروف وفاة الأب أحداث سياسية أشرنا إليها في موضع سابق عن حياته^(١٠٧) :

لا أمتع الدمع أن يهجم وأن يكفأ
ولا أزال بربيع الحزن معتكفا

وليس بوسعنا أن نلم بأبيات القصيدة جميعها ، لكننا سنتوقف عند
أبرز مناحيها ، فواضح من مطلع القصيدة ، وأبياتها الأولى ، تفجع الشاعر
ولوعته لهول المصاب الذي نزل به ، ومكانة أبيه الشيخ اثير ، ورفيعة ،
ولذلك فهو ينكر على من يدعوه للصبر ، بل يدعوه الى مساعدته على محنته :

فإن رزئي رزء لو بكيت له
دَمَ الحشا ما كفى لو سال أو وكفا
فيا مُريد اصطباري لا ترد شططاً
هيهات تبصرني بالصبر متصفا

ويروي لنا بأسلوب المأساة ، كيف قُصَّ جناحه ، وهذَّ ركنه ، وعلى
من هبت رياح المنايا العاصفة :

فصادفتُ أصل إيجادي ، وقد نحتتُ
أيامه عوده فانهتُ وانقُصفا
فعود جسمي ذاوٍ من تذكره
فكيف ينعم فرع أصله انجعفا

(١٠٧) ١/٢٧ ، ٢ ، ٤ وينظر (١٠) ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧ .

والمرء جزء أبوه كله واذا
ما أفرد الجزء عن كُليهِ ضَعُفَا

ويرى أن جَبْر قلبه ومساعدته على اعباء مصيبتة بالبكاء معه لا دعوته
الى الصبر ، ويوضح الشاعر اسباب حزنه المضاعف وجزعه ، أن أباه توفي ،
بعد شوق شديد الى اللقاء به ، فما أمهله القدر الا أياماً^(١٠٨) بعد لقائه بابنه ،
بعد عام من الفراق في دار الغرب ، وينتقل الشاعر بعد أبياته الى الحديث
عن نكبة المسلمين بالاندلس في حوالي عشرين بيتاً ، وبين أن الشاعر عاش
ازمتين عظيمتين ، أزمة مرض أبيه الذي أودى به وأزمة ذهاب وطنه بأيدي
الاسبان ورحيله عنه ، وفي أزمته الثانية يقول :

يسا غربة جسرّها ، والدار مكتئب
صَرَفَ من الدهر عن أوطاننا صَرَفَا
إذ صارَ فيهنّ دين الحقّ مغترباً

يرتأع إن صدّ ناب الكفر او صدفا
فان كان أمله قد فقد بوفاة أبيه ، فإن بصيص الأمل ما زال يراوده في
عودة ديار المسلمين الى حوزتهم ، وجلاء الاعداء ، لذلك فهو يستنهض
الهمم ويحرك العزائم ، مباهياً بالسلف ، مشخّصاً أسباب ضعف دولة
المسلمين ، وتكالب الاعداء عليهم^(١٠٩) ، ويسترسل شريط الذكريات
لديه ، يتذكر المجد الزاخر الذي عاشته مدينته المهيضة الجناح ، ولكن الحال
تغيرت بالبلاد ، فحال وجهها ، ونزلت النكبة بالاسلام والمسلمين ، ودعت
كثيراً من اهل الاندلس الى الهجرة والرحيل ، ومفارقة الاحباب والاطوان ،
وكان واحداً من اولئك الذين هاجروا من مرسية الى اوريوالة . . فينفث
حسراته ، ويبث لواعجه لفراقه الدار واهلها ، ولكن لا بأس عليه فهو ليس

(١٠٨) ٥٩/٢٧ حيث يشير إلى أنها كانت تسع ليال

(١٠٩) ٢٩/٢٧ ، ٣٠/٣٤ ، ٣٦ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥١

خواراً او جباناً ، كي يخرج بقصد النجاة بالنفس ، بل كان خروجه ..
فراراً الى الله :

فاذا رأيت أموراً كلّها تلفُ
فررتُ لله كيما آمن التُّلفا
ومن قبل استرضى نفسه حين خاطب ابن المرباط بعد رحيله بقوله
معللاً^(١١٠) :

وياحبذا الأوطان بالكره فورقت
لجور جوار الكفر والزمن السوغي

وتلوح لنا حيرته في أزمة نفسية ، بدت معاناته منها .. وانتهى به
الأمر الى الرحيل ، وبقاء أبيه في مرسية حولاً .. ، والابن يحثه على
القدوم .. ولكن المرض كان هو العائق ، وهي ذي مرسية وما آلت
اليه^(١١١) ، وينتقل الشاعر الى نبرة جديدة في قصيدته ، ويضرب على وترٍ
طريف ، بعد أن يسرد مأساته بأبيه ، فيتحدث في حوالى ثلاثين بيتاً عن
فلسفة الحياة والموت على طريقة المعري في قصيدته المشهورة «غير مجد ..»
وقد سلك هذا المسلك آخرون من عصر الطوائف امثال ابن وهبون المرسى
(ت ٤٨٨ هـ) ، وابو عامر الشنتريني (من شعراء الذخيرة)^(١١٢) ، الا أن
الشاعر لا يبعد في تلك النزعة ، اذ سرعان ما يصدر عن نزعة الفقيه الذي
يقتضي آثار الشريعة الاسلامية ، فالناس في غفلة عن أمرهم ، مسرورين
لإقبال الدنيا عليهم^(١١٣) :

(١١٠) ٣٢/١١

(١١١) ٥٥،٤٥،٤٢/٢٧

(١١٢) تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمرباطين ١٢٩

(١١٣) ٩٧ ، ٩١ ، ٨٣ ، ٨١/٢٧

وضاحك ملء فيه لو درى لبكى
دم الفؤاد اذا مادمعه نَزفا
ويح المقيم بدارٍ وهو مرتحلٌ
ماحلٌ مذ حلَّ رحلاه ولا أكفا

وفي المشهد التالي من هذا الفصل ، يحدثنا عن الدنيا في حوالي عشرة أبيات ، وخداع الناس بزيتها وبهرجها ، وهي الظل الزائل ، الختارة ، الختالة ، الفتانة ، القتالة ، الظلامه^(١١٤) ، ويعود ثانية ليتحدث عن إرادة القضاء المحتومة ، وانها لا تمهل أحداً ، ويتوجه بالخطاب الى أخويه للبكاء معه ، على المصاب الجلل ، ثم يختم قصيدته ويسدل الستار على مأساته بالدعاء لأبيه ، الدعاء الحار ، في سبعة أبيات مستهله بلفظة «يا رب» ويسأل الله أن يجمع شمل أسرته في دار القرار ويأتي آخر بيت في القصيدة استسلاماً للقدر واحتساباً للاجر :

يارب إن أبي عبدٌ ضعيف وقد
أتاك مولى كريماً يرحم الضعفا
وجمَّع الشمل في دار القرار لنا
إذ تجمع السلف الأبرار والخلفا
ما إن له ملجأ فيما عراه سوى
يا «حسبي الله» فيما نابني وكفى

والقصيدة الثانية - في هذا الباب - لا تقل أهمية عن قصيدته المتقدمة آنفاً ، كافيّة في بحر الطويل ، جاءت في واحد وثمانين ، في رثاء شيخه وأستاذه أبي الحسن سهل بن مالك ، الذي كان من أعيان مصره وعصره ، بارعاً في المنثور والمنظوم ، محدثاً ، عدلاً ، وافر النصيب في الفقه وأصوله

(١١٤) ١٠٧/٢٧ ، ١٠٧ - ١٠٩

صَنَّفَ في النحو كتاباً على أبواب كتاب سيبويه توفي سنة ٦٣٩ هـ^(١١٥) ، وتأتي القصيدة مشفوعة برسالة في سبع صفحات مذيّلة بتاريخ تحريرها منسلخ ذي الحجة من عام الوفاة ذاته .

وينحو ابن الجنان في قصيدته منحى الغائية المتقدمة ، وينسج على منوالها من حيث إظهار معاني التفجع والجزع الشديد ، لعظم المصاب وجلال الرزية^(١١٦) :

دعوني وتسكاب الدموع السوافك
فدعوى جميل الصبر دعوة آفك
أصبرُ جميل في قبيح حوادث
خلعنَ على الأنوار ثوب الحوالك
وإظهار الأسى عند ابن الجنان منهج وشرعة في بيان مقام المؤسو عليه :
فكل أسى لا تذهبُ النفس عنده
فما هو إلا من قيل التصنع

ولا ريب أن وفاة العلماء مصيبة للعلم وأهله تؤدي بهما ، وفي الحديث الشريف : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ، ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يُبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»^(١١٧) ، وقد نوه الشاعر بمترلته الرفيعة التي تجعله في مصاف مالك والشافعي رضي الله عنهما^(١١٨) :
أما قد علمنا والعقول شواهدُ
بأن انقراض العلم أصلُ المهالكِ

(١١٥) تنظر ترجمته في هامش القصيدة (٣٠)

(١١٦) ١/٣٠ ، ٢

(١١٧) متفق عليه ، ينظر اللؤلؤ والمرجان ١٨/٣ ، (طعيسى الحلبي بالقاهرة)

(١١٨) ٩/٣٠ ، ١٠ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٣٣ .

إذا أذهب الله العلوم وأهلها

فما الله للدهر الجهول ببارك

وفي الوقت الذي يؤن ابن الجنان شيخه ، ويحدثنا عن جلال علمه ،
يفزع إلى الكذب ، وينكر أن يصح لديه ، خبر انتقاله إلى الرفيق الأعلى
دهشة وهلعاً ثم يشارك الأرض والسماء في مصابه :
لعلك في نعي العلاء متكذب

فكم ماحل من قبل فيه وماحك

ويعود ثانية ، متحدثاً عن جلال المصيبة في حوالي خمسة عشر بيتاً
مستهلاً أبياته بـ «من» حرف جر تارة ، واسم استفهام تارة أخرى ،
ولا يملك إلا الاستسلام لقضاء الله المبرم الذي لا مفر منه ولا محيد عنه ،
وهو الذي أفنى الأمم السابقة واخترمها ، ولو أنه راقب أحداً ، ووقره لإكرم
مقامه ، أو لطول إقامته لراعى محمداً (صلى الله عليه وسلم) أو نوحاً عليه
السلام . . . ويُعرب عن شدة ألمه لما دماه ، وأن الغزاء لا يسوغ في أمثال
شيخه ، ثم سرعان ما يعود عن هذه النبذة إلى أسلوب ينكر فيه البكاء في
صورة من صور الصحوة ، للمقام العلي الذي أحرزه المرثي^(١١٩) :

فكيف أعزّي والتعزّي محرم

عليّ ولكن عسادة آل مالك

فيا عجبا منا ، نبكي مهنأ

تبواً داراً من جوار الملائك

ويختتم قصيدته بالدعاء لشيخه بشآبيب الرحمة ، ولنفسه بالطمأنينة
والسكينة :

(١١٩) ٦٦/٣٠ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٠ .

فإرحمة الرحمن وإني جنابه
وإأرؤحه سلّم عليّ وبارك
وثالثة الاثافي دالته في بحر الكامل ، في واحد وخسين بيتاً في رثاء
امراة - لا نعرفها - يعزي أأها ومطلعها^(١٢) :
دمع بنيران الضلوع يصعد
هذا يسح وهذه لا تحمد
وتأتي قصيدته عازية سابقتها ، تفجعا وهلعا ، حتى إنه يسوغ ذلك
ويحسنه ، ويأده محموداً في مثل هذه المواطن ، وله في رسول الله صلى الله
وسلم ، أسوة حسنة :

لو كان ذلك ما بكى أحبابه
جزعاً لفقدهم المبارك أحمد
نبكي بكاء ترحم بكائه
ونقول ما يرضي الإله ، فنسعد
ويوالي في ألفاظ الحزن مستخدماً لفظة «نبكي» في سبعة أبيات ، مؤبناً
إياها بذكر محاسن ومكارم أخلاقها ، وهي المرأة القائنة الكثيرة البر
والإحسان :

نبكي التي لو تفتدي سمحت لها
نفس بها وبكل ما تحوى اليد
نبكي الفقيدة أنها ما مثلها
في البر والشيم الرضية توجد
ويصور لنا أم المرأة المأثة وهي تصعد زفرتها ، وتبث لواعجها بحرارة
والم ، يشاركها في ذلك أأنا المأثة - بنتاها - وهو إن كان ضعيفاً لا يثبت أمام

النوازل والنكبات يدعو أمها إلى الصبر ، لكنه سرعان ما يضعف وتخور قواه
فكلما رأى ذوي قرابتها ، عاد إلى شجونه وبث لوعته^(١٢١) .

وإذا ما عاد إلى الحصافة والعقل علم أن الانسان يولد ليموت ، وأما
أيامه التي يحياها فهي شظف ونكد ، وما دامت الدنيا فانية زائلة ، فهو يزهد
الناس في بهرجها ويدعو إلى قصد سبيل الرشاد فيها ، ويختم القصيدة
بالدعاء للمتوفاة بالرحمة والغفران وطيب المثنوى^(١٢٢) :

يَا رَحْمَةَ الرَّحْمَنِ جُودِي وَاسْكُوبِي
بِسَحَائِبٍ يَرْتَادُهَا الْأَوْدُ
لِتَطِيبِي مَشْوَى الَّتِي بِفَعَالِهَا
قَدْ طَابَ فِي الدُّنْيَا الشَّاءُ الْأَحْمَدُ

وقصيدته الأخريان تقتربان في منحاهما ، وتختلفان عن الثلاث
السابقات ، في حرارتها وشدة انفعال الشاعر بهما ، فلا نجد تفجعاً ، وجزعاً
وهلعاً ، بل نجده يذهب فيهما مذهب التأين . ونبدأ بالميمية التي وجهها إلى
الوزير الأجل أبي بكر الفصيلي ، وفيها يعزیه في ابن أخيه ، أبي بكر يحيى بن
سُلَيم ، وهي طويلة النفس ، بلغت أبياتها سبعة وسبعين بيتاً ، اختار لها
بحراً مضطرباً ، وهو الرمل واختار من الرمل مجزوءة ومطلعها^(١٢٣) :

حَسْبِيَ اللَّهُ ، أَحَقُّاً مِمَّا تَحْسِبُ بَن سُلَيم

والقصيدة تذكر بالكافية المتقدمة آنفاً ، في رثاء شيخه أبي الحسن
سهل بن مالك ، فهو يرثي كاتباً من كتاب عصره ، وإذا كان شيخه قد

(١٢١) تنظر الأبيات ٢٨ ، ٢٩

(١٢٢) ٤٧/١٠ ، ٥١

(١٢٣) ١/٤٣ ، ١٨ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٥٥

أعرب عن صفته ومؤهلاته فظهرت عطاياه العلمية مع طول عمره ، فإن ابن سليم اعتبط شاباً ، وقد بدت مخايل النجاة والسبق والبر . وسابع قصائده لاميته في اثني عشر بيتاً^(١٢٤) ، وليس واضحاً من وجهة له القصيدة

٥ - السمات الفنية :

يتجلى من سيرته التي تقدم فيها الحديث آنفاً أن ابن الجنان كان من ذوي المواهب المزدوجة فقد رفع لوائي الشعر والنثر ، وبرع فيهما ، وإذا كانت دراستنا منصرفة إلى شاعريته وشعره ، فإن الإنصاف يقتضي أن ننوه بنثره ، فقد كان معدوداً في أعلام النثر في عصره ، وحجم النتاج الذي خلّفه وجودته شاهدان على ذلك^(١٢٥) .

وإذا كان الشعر بالعلماء يزري ، فإننا نراه قد أجلّ من شأن شاعرنا ورفع قدره ، ولذلك لم يجد معرة أو عيباً في معاناته الشعر ومقاساته إياه ، بل واستكثاره منه ، وكذلك نجد أن علماء عصره ، هم الآخرون ، ممن عني بنظم الشعر وقرضه دون أن توجه لهم تهمة بأن أشعارهم (أشعار علماء) ليس فيها شيء جارٍ عن اسماح وسهولة على نحو ما أصدر ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) حكمه في شعر العلماء^(١٢٦) . وهو حكم لا يقوم على استقراء أشعارهم بشكل دقيق والتعرف على جيدها^(١٢٧) . .

لقد أعجب القدماء بشاعرية أبي عبد الله وصرّحوا بذلك في غير موضع ، وكنا قد سُقنا تلك الأقوال حين تحدثنا عن حياته وسيرته^(١٢٨) .

(١٢٤) ق ٣٤

(١٢٥) ينظر في خطبه : نفع الطيب ٤٢٣/٧ ، ٤٢٦ وفي رسائله : ٤٠٦/٧ ، ٤١٧ ، ٤٢٤ ، الذيل والتكملة ١٠٨/٤ ، ١١٤ كذلك ٣٢٧/١/٥ ، ٣٣٤ ، زواهر الفكر (خ) ١/١٦٩ -

ب

(١٢٦) الشعر والشعراء ١٦/١

(١٢٧) ينظر على سبيل المثال أبيات الخليل بن أحمد (الذي عابه ابن قتيبة) في إنباه الرواة ٤٣/١

(١٢٨) ينظر ص ٧ من البحث .

ومن دراستنا لأشعاره نجده شاعراً مطبوعاً ، «يسمح بالشعر ويقتدر على القوافي ، وتنبين على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة ، وإذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزحر»^(١٢٩) على نحو ما يحدد ابن قتيبة مفهوم الطبع .

ولا نجد في هذا المفهوم ما يتنافى مع عناية الشاعر بالصيغ والصوغ في أشعاره على نحو ما نرى في عدد من قصائده ومنها داليتها التي يستهلها بكلمة (سلام) ويبدولنا - لأول وهلة - أنها أدخل في باب التكلف هي وما يماثلها ، ونجده في موضع آخر يقول الشعر على البداهة ، حيث يجد في نفسه رغبة في القول ، أو حين يقترح عليه من ساعته ، وقد نصّ مؤرخو الأدب على ذلك في قصائد عديدة^(١٣٠) .

وإذا كان أبو عبد الله شاعر المديح النبوي في عصره ، الذي لا يجارى ، فإن قصائده جاءت جذعاً متفرعاً من شجرة المديح النبوي بكل خصائصها وسماتها الفنية ، في عناية متناهية بصياغتها ، وأسلوبها ، ومعانيها . أفكان المديح النبوي في الاندلس صدى لصنوه في مشرق العالم الاسلامي - حيث كثر شعرائه هناك بشكل واضح - أم أنه وافق من عوامل الازدهار في الاندلس مثل ماوافق في المشرق؟

إن مما لاشك فيه أن هذا الفن اتصل - في شيوعه في المشرق - بالأحداث السياسية واقرن بدخول الافرنج ديار الشام ومصر حيث عجزت وسائلهم المادية الضعيفة عن الدفاع ، ورد الغزاة الباغين فالتجأوا الى الله ورسوله^(١٣١) . . كأنهم يدفعون غائلة الأعداء بأضعف الايمان ، بالتضرع والدعاء ، كذلك اقرن ازدهار هذا الفن بتهجم الافرنج على الدين

(١٢٩) الشعر والشعراء ٣٤/١ ، وينظر تاريخ النقد الأدبي ١٠٩

(١٣٠) تنظر قصائده رقم ٢ ، ٤ ، ٨ ، ٢٩ .

(١٣١) مختصر تاريخ العرب ٢٨٦ .

الاسلامي ، والرسول عليه الصلاة والسلام ، فانبروا يردون عليهم
ويناقشون عقيدتهم^(١٣٢) .

ولم يختلف الأمر في الأندلس عن شقيقتها بلاد المشرق لأنها هي
الأخرى نالها مانال ، من هجمة الافرنج والاسبان منذ عهد مبكر ،
وأحدثت ببلادهم المحن والفتن والغارات والويلات فانتهى بهم الأمر الى
اللجوء الى جناب الرسول الكريم ، وحضرته الشريفة المباركة ، فعل من
ليس لهم بد ، في تجاوز حالهم الى الأفضل . . . ووجدت عواطفهم
ومشاعرهم القوية ، التي تعرف قدر العقيدة الاسلامية ، ومقام الدين ،
ومنزلة الرسول الأمين متنفساً ومتفرجاً . . فانداحت عن المواجهة المباشرة
باستخدام الأساليب المادية - الى التعبير عن حب الرسول (صلى الله عليه
وسلم) والاستغاثة به ليدفع عنهم الضرر ، وحين اشتدت هجمة الاسبان
العنيفة فيما بعد بسقوط غرناطة آخر معقل اسلامي في الأندلس لم يكن
بوسعهم مدح الرسول الكريم باللغة العربية لأن ذلك حرم عليهم فجاءت
مدائح نبوية باللغة الاسبانية (اللاتينية) !^(١٣٣) .

واذا نظرنا في قصيدة المديح النبوي عند ابن الجنان ، وجدنا فيها
استبطاناً لمفاهيم كثير من الآيات والأحاديث ، يدرجها درجاً ضمن أشعاره
مستخدماً الاقتباس الاشاري ، بحيث تحتفي للوهلة الأولى خيوطه الذهبية
التي يطرز بها نسيجة الشعري لأنها تمتزج باللحمة والسداة ، وهو يمضي على
منهج شعراء الاندلس في هذا المجال ، المنهج المنبثق من التأثير بالمذهب

(١٣٢) الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية ٥١٦

(١٣٣) تاريخ الفكر الاندلسي ٥١٦ ، تاريخ الموسيقى الاندلسية ٩٣ ، القصيدة المباركة الشريفة
(مجلة الرسالة الاسلامية) العدد ١٧٦ سنة ١٩٨٤ ص ٩٨ .

المالكي^(١٣٤) المتمثل في كراهة الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر إقتباساً مباشراً يتجلى ذلك بوضوح في منظومه الشعري وفي قصيدته المباركة الشريفة في كثير من أبياتها^(١٣٥).

ومن المفاهيم التي شاعت في شعر المديح النبوي بالشرق ، فكرة الحقيقة المحمدية^(١٣٦) او النور المحمدي وهي تقوم على أساس الاعتقاد بان أول ما خلق الله محمداً ، فأعلمه النبوة وبشر بها ، وقد تسربت هذه الفكرة الى شعراء الاندلس وكان ابن الجنان أحدهم ، فمن ذلك قوله^(١٣٧) :

سلام على النور الذي كان كامناً بآدم إذ خرّ الملائك سُجداً

واذا انتقلنا من موضوع المديح النبوي الى موضوعات الشاعر الأخرى فإننا نجد لها وثيقة الصلة بمفردات حياته اليومية تنبئ عن معاشة لتفصيلاتها خطوة خطوة على نحو ما ترى المدارس النقدية الحديثة في عدم البعد في موضوعات الشعر عن حياة الشاعر والمجتمع التفصيلية ، ولنا في ذلك أمثلة كثيرة ، وهذه الناحية تنبئ عن صدق التجربة الشعرية لدى الشاعر لأنه كان أبعد الشعراء عن التكلف في شعره ، فأنت لاتواجه شاعراً يمدح الملوك والأمراء ، ويستخذي بقصد العطاء والنوال ، ذلك مايتعذر الوقوف عليه ، وجل مايرد في هذا المجال مقرون بأثرابه ولداته الذين بادلوه الحب والمودة .

(١٣٤) الاتجاه الاسلامي ٤٨١

(١٣٥) تنظر على سبيل المثال ما اقتبسه في القصيدة (٩) من القرآن الكريم (١٣ ، ١٤ ، ٢١ ،

٣٦ ، ٣٧ ، ٤٣) ومن الحديث الشريف (١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٦٢) .

(١٣٦) التصوف الاسلامي ، زكي مبارك ٣٢٠/١ ، الشعر العربي في العراق - العبود - ٢٧٨ ،

وينظر فصول في الشعر ونقده ، د. شوقي ضيف ٢٢٩/٣ - ٢٥٤ .

(١٣٧) ق. ١٨/٩ ، وتنظر ق ٦/٣٨

ويتجلى في قصائده مظهر آخر دعا اليه النقد الحديث هو الوحدة الموضوعية في القصيدة الشعرية ، إذ كثيراً ما تأتي القصيدة عنده في موضوع واحد وربما انتقل فيه الى موضوع آخر لصيق الصلة به ، فقد يخرج من موضوع الإلهيات الى النبويات ، كما ينتقل من شعر الآداب والاخلاق الى شعر الأخويات مهتثاً أو معزياً ، فلا تجد في تنقله بين الموضوعين اضطراباً او نفوراً .

اللغة والأسلوب :

نلاحظ في لغة ابن الجنان الشعرية انه يعتمد على غطين مختلفين في اسلوب النظم هما :

١ - لغة سهلة ميسورة ، وأسلوب تقريرى يعتمد لغة التخاطب القريبة من لغة النثر منها الى اللغة الشعرية ، وكأنه بذلك يريد أن يقرب أشعاره إلى أكبر عدد من الناس الذين يتفاوت مستواهم الثقافى^(١٣٨) لاسيما في مجال أشعاره في المديح النبوي وهي سمة ملاحظة على شعر الزهد بشكل عام ، ولدينا أمثلة على ذلك كثيرة ، فمن ذلك قوله^(١٣٩) :

يَا مَنْ تَقَدَّسَ عَنْ أَنْ يُحِيطَ وَصْفٌ بِذَاتِهِ
وَمَنْ تَعَالَى جَلَالاً عَنْ مُشَبِّهِ فِي صِفَاتِهِ
وَمَنْ قَبُولِ ثَنَائِي إِلَيْهِ أَسْنَى هِبَاتِهِ
او من مثل قوله^(١٤٠) :

يَا رَبِّ بَلِّغْ سَلَامِي لِأَحْمَدَ ذِي الشُّفَاعَةِ
لِحَاتَمِ الرِّسَالِ أَعْنِي إِمَامَ تِلْكَ الْجَمَاعَةِ

(١٣٨) المديح النبوي ٤٧٦ ، القصيدة المباركة ١١٧

(١٣٩) ق ١/٥ - ٣

(١٤٠) ق ١/٣ - ٤ .

وتتجلى هذه الظاهرة بشكل أوضح في قصائده التي كان يرتجلها وقد تقدمت الإشارة الى بعضها آنفاً .

٢ - لغة جزلة متينة الألفاظ ، وأسلوب متماسك التراكيب ، يعتمد فنون البلاغة لاسيما البديع كالجناس ، والطباق ، والمقابلة ، والتكرار ، ولزوم ما لا يلزم ، ومحبوك الطرفين ، ورد الاعجاز على الصدور ، وما الى ذلك ، ومن أمثلة فنون البديع ما جاء في الجناس في أبياته التي يقول فيها^(١٤١) :

تأاكرن ذكرى او تهيج اللواعجا	فعالجن أشجانا يكاثرن عالجاً
لهن من الاشواق حاد فإن ونت	حداة يرجعن الحنين أهزجا
تراهم سواماً من سراهم أصبحوا	رسوماً على تلك الرسوم عوالجا
لهم من منى أسنى المنى ولدى الصفا	يرجون من اهل الصفاء المناهجا

ويلاحظ ظاهرة التجنيس في أبيات قصيدة أخرى بشكل يدعو الى الاعجاب بثقافة الشاعر فيما ساقه من أمثلة كثيرة وقد استخدم الطباق في بعض أبياتها كما في قصيدته التي مطلعها^(١٤٢) :

عيون النهى بين التدبر والفكر
جلبن الهدى من حيث أدري ولا أدري
ومنها :

فهمت بمحسوب فهمت كماله	فلم يلتفت الا لحضرته سري
له المثل الأعلى فلا ندُّ مُشبه	ولامثل في فضل تسامى عن الحصر

(١٤١) تنظر ق ٦/١ ، ٤ ، ٦ ، ٧

(١٤٢) تنظر ق ٧/١٦ ، ١٠ ، ١١ ، ١٤ ، ١٨ ، ٢٢ ، ٣٠ ، ٣٣

وتنظر امثلة اخرى في قصائد الديوان ق ٢٣/٣٠ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٦٠ ، وكذلك ق ٩/٦ ،

١١ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ وكذلك ق ٧٤/٤٣ ، ٧٥ ، ٧٦ .

قريب مجيب ظاهر وهو باطن وجل جلالا عن حجاب وعن ستر
وصول به نلت الوصول الى الفتى وفي وصوله صرّحت للغير بالهجر

ويستخدم الشاعر ضرباً من أضرب الجناس هو «الاشتقاق» أو «التام»
في نحو قوله :

ياليث شعري ما الذي هو طالب وياليث شعري عن هواه وعن شعري
معتقّة كم اعتقدت عبد غيرها وكم ملكت في ذلك العتق من حرّ
نداؤهم ان مسّ مسّ من الجوى جوانحهم ، رحماك ياكاشف الضر
يزيدهم حباً لها فيرينهم بما زدا من قبل الكرامة والبر

وما لنا نذهب بعيداً في تتبع ظاهرة الجناس بأنواعه ، ودوننا قصيدته
العينية ، فانه فضلاً عن تكراره حرف العين في جميع ألفاظها استخدم كلمة
(عين) في قوافيها أجمع ، وفي ذلك تتمثل ظاهرة الجناس بين أبيات
القصيدة ، كل بيت مع الذي يليه ، إذ إن هذه «الكلمة» ذات معانٍ كثيرة ،
وهي في كل مرة ترد بمعنى مختلف ومطلع قصيدته^(١٤٣) :

أتعتبني عمادي عمد عين وعين العذر تعرفه كعيني
ومن الظواهر الواضحة^(١٤٤) في لغة ابن الجنان ظاهرة التكرار ، وذلك
بأن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة لتأكيد الوصف او المدح او الذم او التهويل

(١٤٣) ١/٤٦ - ٢٠

(١٤٤) أقدم من اعتمد التكرار في نظم الشعر الشاعر الجاهلي الحارث بن عباد في قصيدته التي
يرثي فيها ابن اخيه بجير وعدد أبياتها ست وثلاثون بيتاً مطلعها :

كل شيء مصيره لسزوال غير ربي وصالح الاعمال
وفيها يكرر (قرباً مربوط النعامة مني) أربع عشرة مرة ، و(قرباها) ثلاث مرات ، فيكون
المجموع سبع عشرة مرة ، ينظر أخبار المراقبة ص ٢٥٩ وأيام العرب في الجاهلية ١٦١ .
وقد ورد التكرار في قصيدة لابن هاني الاندلسي (ت ٣٦٢هـ) بمدح بها جعفر بن علي وهي
في احد عشر بيتاً ومطلعها :

او الوعيد^(١٤٥) ، ونرى ان الشاعر في تكراره اراد تأكيد المدح لاسيما في باب التعظيم والتوقير في خطاب الجناب النبوي ، او في خطاب الله عز وجل ،

= أليتنا إذ ارسلت وارداً وحقا ويتنا نرى الجوزاء في أذنها شنفاً وفيها يكرر (كان) خمس مرات (الذخيرة ٥٠٨/١/٣).

كذلك الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ) ففي ديوانه قصيدتان : الأولى في أربعة وستين بيتاً جميع أبياتها على صورة حوار، صدر البيت : قالت ، وعجزه : فقلت . وهذا الفن يسمى «رد العجز على الصدر» واما الثانية ففي تسعة واربعين بيتاً جميع أبياتها تبدأ بـ(أنت الذي) (ديوانه رقم ٢ ، ٨).

ومن شعراء الاندلس ابو اسحاق الالبيري (ت ٤٥٩هـ) له قصيدتان يلتزم فيهما لفظة القافية فيجعلها مرة لفظة الجلالة (الله) واخرى لفظة المهابة (النار) (ديوانه ٦٥ ، ٩٠) مطلع الاولى :

يا أيها المسفّر بالله فر من الله الى الله
ومطلع الثانية :

ويل لأهل النار في النار ماذا يُسْـقَـسُـون من النار
وفي كتاب العاقبة (ورقة ٢٩٤) لابن الخراط (ت ٥٨١هـ) قصيدة غير منسوبة يجذو فيها الشاعر جذو الالبيري ، فيكرر فيها لفظة (النار) في أبياتها ، وهي في ثلاثة وعشرين بيتاً وفيها تكرار لعبارة (أما سمعت) في تسعة أبيات ومطلعها :

أما سمعت بأهل النار في النار وعن مقاساة مايلقون في النار
ولابي القاسم عبد الرحمن السميلى (ت ٥٨١هـ) قصيدة في ثلاثة وأربعين بيتاً عرفت باسم الغارة ، بناها على لفظة الجلالة (الله) (الغارة المباركة مخطوط ورقة ١) ومطلعها :

ياغارة الله جُدِّي السَّير مسرعة في خُلِّ عقدتنا يا غارة الله
وعن مضمي على هذا النهج ابو بكر بن المراتب (عصري ابن الجنان ومزامنه) في قصيدتين الاولى في اثنين وأربعين بيتاً والثانية في خمسين بيتاً ، التزم بداية أبيات الاولى ، بعبارة (صلى الاله) واما الثانية ، فكرر فيها كلمة (سلام) (زواهر الفكر ورقة ١٤٠ - ١٤٤) مطلع الاولى :
صلّى الإله على نبي خصه متأخراً بخصائص التقديم
ومطلع الثاني :

سلام كما مرت على الروضة الضبا فنمت بما أخفت صدور الكهائم
(١٤٥) تحرير التحرير ٣٧٥ ، العمدة ٥٩/٢ ، المثل السائر ١٥٧/٢ ، الايضاح ١٩٧/١ ،
الخزانة (لابن حجة) ١٦٤ .

وهي ظاهرة تبدو في أكثر من قصيدة واشهر قصائده في هذا الباب قصيدته التي مطلعها^(١٤٦) :

سلام على من جاء بالحق والهدى ومن لم يزل بالمعجزات مؤيدا

وهي في مائة واربعين بيتاً التزم كلمة «سلام» في مطلع أبياتها جميعاً (وهذه اللفظة ذات دلالتين عميقتين لغوية واصطلاحية ، فهي أسم من اسماء الله الحسنى ، وهي الجنة دار السلام ، ولذلك تحمل (سلام) نكرةً دفئاً . معنوياً ودفقاً من الطمأنينة والاستقرار وتتصل اللفظة بحرف الجر ، يليه اسم موصول (على من) يطرد هذا في أكثر ابيات القصيدة.^(١٤٧)

وفي هذا الاتجاه تأتي قصيدتان أخريان للشاعر ، الأولى في اثنين وعشرين بيتاً ، يلتزم عبارة (صلوا على) في سبعة أبيات منها ومطلعها^(١٤٨) :

صلوا على خير البرية خيماً وأجل سن حاز الفخار صميماً
وفي خمسته يلتزم عبارة مماثلة هي (صلوا عليه وسلموا تسليماً) ويجعلها الشطر الخامس من كل بيت ومطلعها^(١٤٩) :

الله زاد محمداً كريماً

وحباه فضلاً من لدنه عظيماً

واختصه في المرسلين كريماً

ذا رافة بالمؤمنين رحيماً صلّوا عليه وسلموا تسليماً

(١٤٦) ق ٩

(١٤٧) القصيدة المباركة الشريفة ص ١١٦

(١٤٨) ١/٣٧ - ٧

(١٤٩) ق ٣٨

وترد هذه العبارة منسجمة مع تفعيلات بحر الكامل ولذلك استخدمها عدد من الشعراء^(١٥٠). ومما يقرن بذكر الله وتمجيده فائيته التي جاءت في مئة وواحد وسبعين بيتاً يكرر في سبعة أبيات من آخر القصيدة فيها عبارة يارب ومطلعها^(١٥١).

لا امنعُ الدمعَ أنْ يَهمي وأنْ يكفَا ولا أزالُ برِبعِ الحُزنِ مُعتَكِفَا
وتأتي هائيته في واحد وعشرين بيتاً مستهلة بلفظة «الله» ومختومة بها كذلك ومطلعها^(١٥٢) :

لله أبعثَ رغبتي متيقنًا ألا يخيبَ راغبٌ لله
وهذا الضرب من النظم يطلق عليه البلاغون (رد الاعجاز على الصدور) والمقصود به أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين في آخر البيت والآخر إما في صدر المصراع الاول ، أو صدر المصراع الثاني^(١٥٣) وفي اتجاه التكرار في الالفاظ والحروف تتميز قصيدة للشاعر من عشرين بيتاً التزم لفظه عين في قوافي أبياتها جميعاً على سبيل الجناس ، كذلك التزم في الفاظ أبياتها حرف العين ، وأشرنا إليها آنفاً^(١٥٤) .
وكذلك تأتي داليتها حيث يلتزم في أبياتها الخمسة حرف العين ومطلعها :^(١٥٥)

ياظاًعنَّا عنا ظُعنَتْ بعصمةٍ ورَجعتْ معتمداً بعزٍ صاعد

(١٥٠) المديح النبوي ص ٤٩٤

(١٥١) ق ٢٧

(١٥٢) ق ٥٢

(١٥٣) جواهر البلاغة ٤٠٨

(١٥٤) ق ٤٦

(١٥٥) ق ١٥

وفي مجال تكرار الحروف نلقى للشاعر قصيدة كافية طويلة النفس في
رثاء شيخة يعتمد فيها على تكرار (من) الاسم الموصول في اثني عشر بيتاً ثم
يكرر حرف الجر (من) في ثلاثة أبيات ومطلع القصيدة^(١٥٦) :

دعوني وتسكاب الدموع السوافك فدعوى جميل الصبر دعوة آفك
ولايفتا الشاعر عن نزعتة المتشبهة بالتكرار في قصائد أخرى يعتمد
تكرار الألفاظ فيها في البيت الواحد من مثل قوله في وصف الذات
الإلاهية^(١٥٧)

تنزه عن ادراك ، ادراك واصف فللعجز في الادراك يجري الذي يجري
له الكل مني بل هو الكل وحده فما أنا؟ لا أدري ، حري ولا أدري
فيا ليت شعري ما الذي هو طالب وياليت شعري عن هواه وعن شعري
ومما يتصل بتكرار الحروف ظاهرة معروفة في الشعر العربي ، هي لزوم
مالايلزم فقد جاء ذلك في قصيدته الجيمية التي جاءت في ثلاثة عشر بيتاً التزم
فيها حرف الراء قبل الروي ومطلعها^(١٥٨) :

إذا ما علا يأسى يغالب لي الرجا ويحجب من ربا الرضا ما تأرجا
ومن فنونه البلاغية مايسمى في علم البديع بـ(محبوك الطرفين) وذلك
أن يجعل أبيات القصيدة مبتدأة ومختمة بحرف واحد من حروف المعجم
فمن ذلك قصيدته التي إلتم فيها حرف الشين في عشرين بيتاً ،
ومطلعها^(١٥٩) :

شغفت منها بمن حل الشغاف ومن بين الحشا وسواد القلب يفترش
ولنا أن نتوقف عند بناء القصيدة لدى الشاعر بعد أن درسنا

(١٥٦) ق. ٣٠

(١٥٧) ق ٩/١٦ ، ١٦ ، ١٨

(١٥٨) ق ٧ ،

(١٥٩) ق ١٨

موضوعاتها ومعانيها وفنونها ، يشير الدكتور ناظم رشيد إلى أن قصيدة المديح النبوي ذهبت مذهبين^(١٦٠) :

١ - ابتداء القصائد بالغزل بالموثوث وأحياناً بالمذكر.

٢ - ذكر أماكن الحجاز والتشبيب بها.

ويبدو أن المديح النبوي عند شاعرنا خالف المذهبين المذكورين ، وشرع طريقة خاصة به ومنهجاً مختلفاً عن صنوه ، وهو بذلك على درجة من النقاء والصفاء ، بعيداً عن التأثيرات المشرقية ، إذ لم يكن استهلال بأي الضريين في قصائد ابن الجنان . . . وجاءت قصائده محافظةً على وحدتها الموضوعية . . .

تفاوتت القصيدة عند الشاعر في تعداد أبياتها بين المقطعات^(١٦١) والمطولات فمن الدراسة الاحصائية لقصائده الاربع والخمسين نجد سبع وعشرين نصاً جاء في باب المقطعات اي حوالي نصف قصائد الديوان ، وجاءت سبعة عشرة قصيدة تتراوح أبياتها بين أحد عشر الى ثلاثين بيتاً ، بنسبة ٣١٪ ، اما بقية قصائده فهي مطولات تجاوزت الثلاثين ، وكانت أطولها كافيته في ١٧١ بيتاً والجدول التالي يوضح هذا الموضوع :

نوع النص	عدد أبياته	عدد النصوص	النسب المئوية
مقطعات	١ - ١٠	٢٧	٥٠,٥٪
قصائد	١١ - ٣٠	١٧	٣١٪
مطولات	٣١ - ١٧١	١٠	١٨,٥

(١٦٠) المذائع النبوية في عصر الحروب الصليبية ، بحث في كلية آداب الرائدتين ص ٤٤٣ ، ٤٣٦ .

(١٦١) اختلف في تحديد أبيات المقطعة فمنهم من جعلها في سبعة ومنهم من جعلها عشرة (العمدة ١/ ١٨٨) .

وقد لاحظنا صلة بين عدد الأبيات وموضوع القصيدة حيث يميل الشاعر في شعر الإلهيات وبعض النبويات والمناسبات والشعر المرتجل إلى المقطعات بينما تأتي قصائده في الرثاء وشعر المجاوبات طويل النفس .

ومما يتصل ببناء القصيدة عند ابن الجنان ، نجد ضرورياً من التفنن في قصائده ، فهو يعتمد بأن يجعل قصيدته تذيلاً لبيت المتنبي الذي يعتمد فن (محبوك الطرفين) وهو :^(١٦٢)

شمس يلوح لها وجهٌ تروق به
ماشأانه كلف فيه ولا غش

كذلك يروق له أن يذيل بيتين نظمهما أبو الفرج بن الجوزي كان قد نظمها ارتجالاً ، بمقطعة من خمسة أبيات^(١٦٣) .

ويسلس القياد لشاعريته في باب المعارضات ، فيعارض بعض شعراء عصره وبعض من تقدم عليه ، وأبرع قصيدة لديه ، جاءت في خمسة وأربعين بيتاً في معارضته رائية على بن الجهم التي مطلعها^(١٦٤) ،

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

كما يعارض مزامنه ابن محرز في قصيدته التي جاءت في عشرين بيتاً ومطلعها :^(١٦٥)

بالسعد أوردَ سَعِيدَه لا وائِلاً لا مشتمل

(١٦٢) ينظر هامش القصيدة (١٨) .

(١٦٣) ينظر هامش القصيدة (٤٥) .

(١٦٤) ينظر هامش القصيدة (١٦) .

(١٦٥) ينظر هامش القصيدة (٣١) .

بقصيدة في ثمانية وستين بيتاً :

وفي باب الخمسات ، تأتي قصيدة نبوية واحدة في تسعة وعشرين بيتاً ، لكننا نجهل صاحب الأبيات التي خمسها شاعرنا^(١٦٦) . . ونجد للشاعر في انماط القصائد قصيدة تقرظية يقرظ فيها خمسة لابي العلاء ادريس القرطبي (ت ٦٤٧ هـ)^(١٦٧) :

أهلاً بكم يا أهل هذا النادي
أهل اعتقاد الوعد والميعاد
أهدوا الصلاة الى النبي الهادي
وصلوا السلام له مع الابداد
يندى نسيماً مذكراً تسنيها

وقد كانت لنا وقفة عند ضرب آخر من قصائده يأتي ضمن موضوع تميز به الشاعر هو شعر الأخويات ، يعرف بشعر المجاوبات ، وهي قصائد تشبه قصائد المعارضات في نزعتها لكننا لاحظنا أن الشاعر لا يلتزم دائماً بعدد الأبيات في القصيدة المجاوبة فأحياناً يأتي جوابه على قصيدة من خمسين بيتاً بخمسة أبيات ، وأحياناً يحجب قصيدة من أربعة عشر بيتاً في ثلاثة وسبعين بيتاً . . . وأحياناً أخرى يتقارب العددان .

واما الأوزان والقوافي ، وهي العنصر الرئيس في الموسيقى الشعرية ، وكنت عرضت في دراستي للغة الشاعر الى فنون البديع ومنها ، الجناس ، والتكرار بضروبه المختلفة ، ومحبوك الطرفين ، ورد الاعجاز على الصدرو ولزوم ما لا يلزم ، وكلها تعتمد على تكرار حروف او الفاظ بانماط مختلفة . . ولها دور واضح في الموسيقى الداخلية للقصيدة الشعرية . . .

(١٦٦) ق رقم ٣٨ .

(١٦٧) ينظر هامش ق (٥٤) .

ومما يكمل الوقوف على الجانب الموسيقي في ديوان ابن الجنان ،
الأوزان والقوافي المستخدمة في قصائده ، فمن الدراسة الإحصائية لهذه
الأوزان نلاحظ ان الشاعر لم يحقق تنوعاً كبيراً في أوزانه التي استخدمها في
الديوان حيث لم يستخدم إلا أقل من نصف بحور الخليل بن أحمد بنسبة
٤٣٪ حيث أفاد من سبعة بحور فقط في مجموع ما نظم ، من مجموع البحور
الستة عشر . والبحور المستخدمة هي (الطويل والكامل والبسيط والوافر ،
والمجتث والخفيف والمنسرح) فضلاً عن مجزوءات البحور ..

وقد حققت البحور الطويلة الهادئة نسبة راجحة بين البحور التي
استخدمها هي (٧٥٪) اذ جاء أربعون نصاً منها في (الطويل والكامل
والبسيط والوافر) وكانت اكثر هذه البحور استخداماً هو الطويل والكامل
حيث نظم في كل منها أربع عشرة نصاً وهما يؤلفان نسبة ٧٠٪ من البحور
الهادئة ونسبة ٥١٪ من مجموع البحور المستخدمة لدى الشاعر يلي هذين
البحرين البسيط والوافر .

اما البحور القصيرة والسريعة المضطربة فهي لا تمثل الا ٢٥٪ من
بحور الديوان وهي ثلاثة ، المجتث جاءت فيه أربعة نصوص ، وفي الخفيف
نصان وفي المنسرح نص واحد ، ومجموع هذه البحور تؤلف نصف البحور
القصيرة التي استخدمها الشاعر ، والنصف الآخر استخدم فيه الشاعر
مجزوءات البحور ، وهي مجزوء الكامل خمسة نصوص ونصان لكل من مجزوء
الوافر ومجزوء الرمل ، وبذلك يتقدم بين الأوزان القصيرة مجزوء الكامل ثم
يليه المجتث فالخفيف .. تتجلى هذه النتائج من الجدول التالي:

انواع البحور

البحور القصيرة		البحور الطويلة	
عدد القصائد	البحر	عدد القصائد	البحر
٤	المجتث	١٤	الطويل
٢	الخفيف	١٤	الكامل
١	المنسرح	١٠	البيسط
٥	مجزوء الكامل	٢	الوافر
١	مجزوء الوافر		
١	مجزوء الرمل		

فأما القوافي التي ذلل لها قصائده فقد جاءت موافقة لما هو شائع في الشعر العربي بشكل عام ، فقد رجحت كفة القوافي (الذلل) وهي (م ، د ، ح ، ن) فاجتمع فيها أربع وعشرون نصاً ، واستخدم الى جانبها ستة نصوص في (ء ، ر ، ب ، ي) فتَمَّتِ الثلاثون ، بحيث الفت قوافي الذلل نسبة ٥٥٪ من مجموع قصائده ، واكثر هذه الحروف استخداماً هو (الميم ثم الدال فالعين) وجاءت أقل القوافي استخداماً (الميم والضاد والقاف) استعمل كلا منها في نظم نصين ، وأقتصر في كلٍ من الحروف (ب ، ت ، ر ، س ، ش ، ف ، ك ، و ، ي) على نص واحد ، ويرى الدكتور الطيب المجذوب ، أن «الفاء» صعبة جداً ، وأن مقطوعات الفاء أجود من طوالها^(١٦) . ولكننا نرى أن الشاعر نظم فيها ، أطول قصيدة في الديوان في رثاء أبيه في مئة وواحد وسبعين بيتاً وهي من قصائده الجيدة .

(١٦٨) المرشد الى أشعار العرب ٤٧/١ - ٤٨ .

ووفق تقسيم أبي العلاء المعري الثلاثي للقوافي «الذلل والنفر والحوش»^(١٦٩) نجد الشاعر يستخدم خمس قصائد في (النفر) على قافية (الهاء) وضمن القوافي (الحوش) قافية واحدة هي الشين .

والجدول التالي يوضح أشيع القوافي استخداماً لدى الشاعر

العدد	القافية	العدد	القافية
٥	هـ	٩	م
٤	ل ، ن	٨	د
٣	الهمزة	٦	ع
٢	ج ، ض ، ت		

أما أنواع قوافيه من حيث الحركات ، فقد استخدم الشاعر أربعة منها وأهمل (المتكاوس) وكان في مقدمتها (المتواتر) حيث جاءت فيه ثلاثون قصيدة ، وهي بنسبة ٥٥٪ من قوافيه، تلاها (المتدارك) جاءت فيه أربع عشرة قصيدة بنسبة ٢٥,٩٪ أما أقل القوافي استخداماً فهي المترادف حيث جاءت فيه قصيدتان ويكون استخدامه لها بنسبة ٣,٧٪ ، وهذا الاستخدام طبيعي إذا ما قيس بالشعر العربي .

وبعد فاني أرجو أن أكون قد وفقت في تقديم دراسة وافية عن ديوان ابن الجنان ومن الله نستمد العون والتوفيق والحمد لله أولاً وآخراً .

(١٦٩) الجامع في أخبار أبي العلاء ٢/٦٣٥ .

- ابن شهيد الاندلسي حياته وأدبه ، د. حازم عبد الله ، وزارة الاعلام - بغداد ١٩٨٤
- ابو المطرف بن عميرة المخزومي حياته وآثاره د. محمد بن شريفة ط. محمد الخامس ١٩٦٦
- الاتجاه الاسلامي في الشعر الاندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين ، د. منجد مصطفى بهجت ط الرسالة بيروت ٨٦
- الاثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ، محمد عبد الله عنان ، ط، الخانجي - القاهرة ١٩٦١
- الاحاطة في اخبار ملوك غرناطة ، ابن الخطيب (٧٧٦) ج ١ - ٤ تحقيق محمد عبد الله عنان ، ط - الخانجي ١٧٣ - ٩٧٧
- الادب الأندلسي في عهد الموحدين د. حكمة الأوسي ، ط الخانجي ، القاهرة ١٩٧٦
- الاسس النفسية للابداع الفني د. مصطفى سويف ، ط ٣ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٩
- الايضاح في شرح التلخيص ، القزويني ، ط جامعة الازهر ، د. ت البداية والنهاية ، ابن كثير الدمشقي ، ط مكتبة المعارف بيروت ١٩٧٥
- البيان المغرب في اخبار ملوك الاندلس والمغرب ، ابن عذارى المراكشي تحقيق ميراندا وآخرون ، تطوان ١٩٦٠
- تاريخ الادب الاندلسي - عصر الطوائف والمرابطين ، د. إحسان عباس ط ٢ دار الثقافة بيروت ٧١ .
- تاريخ الفكر الاندلسي ، بالنشأ ، ترجمة د. حسين مؤنس ، ط النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٠٠
- تاريخ الموسيقى الاندلسية ، د. عبد الرحمن الحجي ، دار الارشاد ، بيروت ١٩٦٩ .

- تاريخ النقد الادبي عند العرب ، نقد الشعر، د . احسان عباس ، ط ٢ دار الثقافة بيروت ١٩٧٨ .
- تحرير التحرير ، لابن ابي الاصبغ المصري ، تحقيق د . حفي محمد شرف ، القاهرة ١٣٥٣
- التصوف الاسلامي د . زكي مبارك ، ط دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٥٤
- الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره ، . د . محمد سليم الجندي ، ط المجمع العلمي بدمشق ، ١٩٦٢
- جذوة الاقتباس ، ابن القاضي (١٠٢٥هـ) ط دار المنصور للطباعة المغرب ١٩٧٤ .
- حجة الله على العاملين ، يوسف النبهاني ، مكتبة ايسين ، استانبول ١٩٧٤ .
- الحلل السندسية ، شكيب ارسلان ، ط دار مكتبة الحياة - بيروت د . ت
- الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية ، د . أحمد أحمد بدوي ، ط نهضة مصر ١٩٥٤ .
- خريدة القصر وجريدة العصر ، العباد الاصفهاني (ت ٥٩٧ هـ) ج ١ - ٣ قسم المغرب والأندلس . تحقيق آذرتاش اذرتوش والمرزوقي والمطوي والجيلاني بن يحيى ، ط الدار التونسية ١٩٧٠ .
- الخزانة لابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ) دار القاموس الحديث ، مكتبة لبنان د . ت
- ديوان ابن الجنان الانصاري الأندلسي جمع وتحقيق ودراسة د . منجد مصطفى بهجت ، معدة للطبع .
- ديوان ابي اسحاق اللبيري ، تحقيق د . محمد رضوان الداية ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٦ .

- الذيل والتكملة ، ابن عبد الملك المراكشي (٧٠٣هـ) السفر الاول
بقسمين ، تحقيق محمد بن شريفة السفر ٤ ، ٥ ، ٦ تحقيق د . احسان
عباس ، ط دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٤ ، ١٩٦٥ ، ١٩٧٥
- زواهر الفكر وجواهر الفقر ، لابن المرباط (ت ٦٦٣هـ) مصورة مكتبة
الاولسكريال رقم ٥١٨
- سعادة الدارين ، يوسف بن اسماعيل النبهاني ط بيروت ١٣١٦ هـ
- الشعر العربي في العراق ، من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد د . عبد
الكريم توفيق العبود دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٧٦
- الشعر في عهد المرابطين والموحدين ، د . محمد مجيد السعيد ط وزارة
الاعلام بغداد ١٩٨٠
- الشعر والشعراء لابن قتيبة .
- الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) ط المشهد
الحسيني القاهرة د . ت .
- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس ، محمد عبد الله عنان ح
- ١ - ٢ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٦٤ .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، محمد محيي
الدين عبد الحميد ، ح ١ - ٢ ، ط ٣ السعادة بمصر ١٩٦٣ .
- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، ابو العباس
الغبريني (ت ٧٠٤) : تحقيق رابع بونارط ، الشركة الوطنية ، الجزائر ١٩٧٠
- فصول في الشعر ونقده ، د . شوقي ضيف ، ط ٢ دار المعارف بمصر
١٩٧٧
- القصيدة المباركة الشريفة د . منجد مصطفى بهجت ، مجلة الرسالة
الاسلامية العدد ١٧٦ كانون الاول بغداد ١٩٨٤
- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، محمد فؤاد عبد الباقي ، ط عيسى
البابي الحلبي القاهرة ، د . ت

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ابن الاثير الموصللي ، ح ١ - ٢ ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٣٩
- مختصر تاريخ العرب ، سيد أمير علي - ترجمة عفيف البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦١
- المدائح النبوية في عصر الحروب الصليبية د . ناظم رشيد ، مجلة آداب الرافدين ، العدد ١٣ ، جامعة الموصل ١٩٨١
- المديح النبوي في الشعر الاندلسي ، عهد الموحدين ، د . منجد مصطفى بهجت ، مجلة آداب الرافدين العدد ١٣ جامعة الموصل ١٩٨١
- المرشد الى فهم اشعار العرب ، د . عبد الله الطيب المجذوب ، ط ٢ ، دار الفكر - بيروت ١٩٧٠
- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، المقرئ التلمساني (ت ١٠٤١هـ) تحقيق د . احسان عباس بيروت ١٩٦٨ .